
معالم على
طريق التوفيق
بقلم
العبد الفقير إلى عفو ربه
فيصل بن سعيد شهوان الزهراني
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار الوطن للنشر

في بداية الطريق

أحمد الله وأشكره أن وفقك لاختيار هذه الرسالة، لعل وعسى أن تنير دربك وتزيد في إيمانك، وأن تسير في ركاب الموفقين في حياتك الدنيا...

إخواني الفضلاء:

إن من تأمل في أحوالنا وواقعنا المعاصر الذي نعيش فيه معا، ونظر يمينًا وشمالًا، وجد أن هناك أناسًا قد وفِّقوا في حياتهم الدنيا، وساروا في طريق التوفيق والسداد والرشاد الموصل بإذن الله إلى جنات النعيم.

أخي الغالي:

انطلاقًا من قول الباري جل وعلا: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88].

تأملت هذه الآية الكريمة كثيرًا، فوجدت أن التوفيق عزيز المنال ومطلب سامٍ، وهو عنوان سعادة العبد في الدنيا والآخرة، فإذا به فواتح الخير كله؛ أوله وآخره، ظاهره وباطنه، وما من لحظة وحركة وطرفة عين إلا وأنت تتقلب في نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: 34].

ولا يعرف ذلك ولا يوفق لهذا كله إلا الموفقون..

فسألت نفسي ما هي صفاتهم؟! ما علاماتهم؟! ماذا عملوا؟!

ماذا قدموا؟ ماذا بذلوا؟ لماذا سهروا؟

لماذا سافروا؟ لماذا أنفقوا؟ لماذا بكوا؟

لماذا صبروا؟ لماذا تكلموا؟ لماذا خافوا؟

لماذا تركوا؟ لماذا صَلّوا؟ لماذا أحسنوا؟

أسئلة كثيرة وخواطر عديدة، كلها تدور حول التوفيق، وهو سلوك طريق الاستقامة والهدى والرشاد...

إن الخير كله والتوفيق كله بيد الله ﷻ، فلما أفلح عبد ونجا من فتنة الدنيا وأناب إلى الآخرة إلا بتوفيق الله سبحانه وإعانته، ﴿**قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [آل عمران: 74].

تأمل معي – يا رعاك الله – في هذا الحديث النبوي لترى معنى التوفيق في حياتك.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال: «**الله أكبر. اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما يحبه ربنا ويرضى، ربنا وربك الله**»

[رواه الدارمي في سننه (1639)، وقال الألباني: صحيح بشواهده، انظر: تخريج الكلم الطيب ص139].

أرأيت – أيها الموفق – كيف كان نبي الهدى ﷺ يتلمَّس التوفيق داعيًا ربه لما يحبه ويرضاه؟

نسأل الله الكريم المنان علمًا نافعًا وعملًا صالحًا وتوفيقًا لما يحبه ويرضاه، فهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

محبكم على الطريق

فيصل بن سعيد شهوان الزهراني

الطائف ص ب 6649 الرمز البريدي 21944

تويتر fssz201

Fssz201@hotmail.com

قبل الانطلاق

أذكركم بقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30].

نعم، إنه الفائز الموفق الرشيد الذي عرف ربه وآمن به، ثم استقام على طاعته حتى الممات، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه وإحسانه، ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: 35]. ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: 12].

تأمل – أيها الموفق – كلمة «صبروا»؛

صبروا على طاعة ربهم في زمن الغربة!

صبروا وابتعدوا عن الآثام والملذات والمغريات في حياتهم الدنيا!

صبروا على ما نزل بهم من الأقدار والأكدار!

ولا يوفق لهذه الأنواع الثلاثة إلا من وفقه ربه العلي العظيم.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج].

إن من أول معالم توفيق الله لعبده المؤمن أن يرزقه اليقظة والمحاسبة في حياته الدنيا، فتراه خائفًا أن يزيغ قلبه، أو تزل قدمه بعد ثبوتها، تراه يجأر إلى الله؛ يسأله الثبات والتوفيق في كل ساعة وحين، غير مبدل ولا مغير ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: 8].

نعم، لقد كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ: «**اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك**».

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**يا وليَّ الإسلام وأهله، ثبِّتني به حتى ألقاك**». [السلسلة الصحيحة 1823].

هكذا الموفق يسير في حياته الدنيا، موفقًا مُسددًا حتى يلقى ربه على خاتمة طيبة وعمل صالح.

يسير في الدنيا، يأكل ويشرب، وينكح ويتمتع، ويعمل ويكدح ويسافر هنا وهناك، لكن قلبه معلق بدار القرار.

﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: 39].

ويقول ربنا في محكم التنزيل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97].

* * *

مدرسة التوفيق!

يقول ابن القيم (رحمه الله): «وعلى قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته في ذلك يكون توفيقه وإعانتهُ؛ فالمعونة من الله تنزل على العباد على قدر هممهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم، والخذلان ينزل عليهم على حسب ذلك. فالله سبحانه أحكم الحاكمين وأعلم العالمين، يضع التوفيق في مواضعه اللائقة به والخذلان في مواضعه اللائقة به وهو العليم الحكيم».

نعم يا ابن القيم في أي مدرسة درست، أو من أي جامعة تخرجت؟!

إنها مدرسة التوفيق بفضل الكريم المنان.

إنها كلمة تهز القلوب هزًا، تجعله يتلفت يمينًا وشمالًا في حاله وكلامه وعمله ومدخله ومخرجه، هل هو سائر على طريق التوفيق والسداد أم لا؟!

قال الحكيم العليم: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء: 80].

وإذا أحب الله عبدا وفقه وحباه، وجعل من أخلاقه الرحمة والحب والعطاء، والصبر والوفاء والكرم والعفو، والتجاوز عن الغير، والتواصل

بالبر والإحسان، وهذا – وربي – طريق التوفيق والسداد في الدنيا والآخرة خير وأبقى.

تأمل وفقك الله في هذا الحديث النبوي:

عن أبي عنبة الخولاني ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته**». [السلسلة الصحيحة 2442].

فأي منزلة، وأي توفيق، وأي فضل هذا أن يوفقك ربك لإعلاء كلمته ونصرة دينه وتتبع مرضاته؟! وبقدر ما تقدم وتبذل لدينك يجتبيك ربك ويوفقك ويحفظك، وهو خير الحافظين، والجزاء من جنس العمل.

ويؤكد ابن رجب (رحمه الله) هذا المعنى الراقي قائلًا: «... التوفيق كله بيد الله ﷻ، فمن يُسر عليه الهدى اهتدى، ومن لم يُيسره عليه لم يُتيسر له ذلك»، وفي الحديث قوله ﷺ: «**أما أهل السعادة، فيُسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فيُسرون لعمل أهل الشقاوة**». [رواه البخاري ومسلم].

ويحلِّق بنا ابن القيم (رحمه الله) قائلًا: «وقد أجمع العارفون على أن كل خير فأصله بتوفيق الله للعبد، وكل شرٍّ فأصله خذلانه لعبده، وأجمعوا أن التوفيق ألَّا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلِّي بينك

وبين نفسك، والتوفيق بيد الله، فمفاتحه: الدعاء، والافتقار، وصدق اللجأ والرغبة والرهبة إليه، فمتى أُعطي العبد هذا المفتاح، فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح، بقي باب الخير مرتجًّا دونه».

ويؤكد الشيخ خالد المصلح – حفظه الله – على هذا المعنى بقوله: «من أعظم أسباب التوفيق الكبرى: سلامة القصد، وصفاء النية وخلوصها من الغل والدغل؛ ولهذا قال الله ﷻ مُنبهاً على هذا المعنى في الحكمين عند اختصام الزوجين ﴿إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: 35].

ورحم الله من قال: إذا حانت فرص الأجر فلم يغتنمها العبد، ودعاه داعي الخير فأعرض عنه؛ فهذا من خذلان الله – عياذاً بالله – ألم يقل ربنا: ﴿وَلَـكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: 46].

فينبغي أن نجيب داعي الخير دائما، وهذا لا يتأتى إلا بتوفيق رب العالمين».

يقول الشيخ سفر الحوالي حفظه الله: «إن القلوب تنشط أحيانا وتتكاسل أحيانا، والواجب علينا أن نستغل ساعة نشاطها في قطع

الطريق إلى الله، أما ساعة فتورها فلا تفتر، بل علينا أن نجاهدها ونضربها بسياط الخوف من الله تعالى، ونحدوها بحادي الرجاء.

وتأمل في هذا الأفق البعيد حيث قال أبو سليمان الداراني (رحمه الله): «إن التوفيق على قدر القُربة!».

وصدق: أي على قدر طاعتك وقربتك واجتهادك في عمل الطاعات آناء الليل وأطراف النهار، يكون توفيقك من ربك الكريم المتعال، فالتوفيق ينزل من عند الله – جل في علاه – الذي بيده خزائن السموات والأرض، فتضرع، وانكسر، وانطرح، وألح، وسارع في الخيرات وأكثر من السجود بين يديه، واقرع أبواب السماء، واستمطر التوفيق من ذي الجلال والإكرام. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90].

أيها الموفق، يناديك ابن الجوزي (رحمه الله) قائلا لك: متى رأيت في نفسك عجزًا فاسأل المنعم، أو كسلاً فالجأ إلى الموفق، فلن تنال خيراً إلا بطاعته، ولا يفوتك خير إلا بمعصيته.

وقد أجمع العلماء على أن التوفيق: ألا يكل الله العبد إلى نفسه، وأن الخذلان كل الخذلان أن يخلي بينه وبين نفسه.

وبين لنا ابن تيمية (رحمه الله) الطريق إلى التوفيق بقوله: وإنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة، فلم يكرم الله عبدا بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه، ويزيده مما يقربه إليه ويرفع به درجته.

فتحسس — يا رعاك الله — مواضع قدميك، وانظر أين تسير بهما.

إضاءة على الطريق:

اللهم إنا ندعوك باسمك الأعظم

أن توفقنا لمرضاتك، وأن تستعملنا في طاعتك

يا أكرم من دُعي، ويا خير من رُجي.

تأملوا وتفكروا!!

أبو طالب بالقرب من الحجر الأسود!

أبو لهب عند زمزم!

أبو جهل بجوار الصفا والمروة!

لكنهم لم يُوفقوا إلى الهدى والنور والإيمان! لم يُوفقوا لوضع جباههم لربهم!

ولم يستجيبوا لرسول الله ﷺ، إنه الخذلان والحرمان من حرمة الرحيم الرحمن.

ورحم الله من قال: الأنساب والبقاع لا تزكي أحدا.

أما صهيب الرومي، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وأبو هريرة، وبلال الحبشي، وابن مسعود، فقد جمعتهم كلهم: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وفقهم الباري بتوفيقه، فشقوا الطرق والأودية والهضاب، يحملهم الحب والحنين لرسول رب العالمين؛ حتى وصلوا مكة وعاشوا على أرضها وتحت سمائها، فاطمأنت قلوبهم وأرواحهم، ونالوا شرف صحبة رسول الله ﷺ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، فرضوان الله عليهم، ﴿مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: 23].

بل، وتأمل في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: 122].

قال ابن كثير (رحمه الله): «هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتًا أي: في الضلالة هالكًا حائرًا، فأحياه الله أي: أحيا قلبه بالإيمان، وهداه له، ووفقه لإتباع رسله».

وكما قيل: «الناس كلهم متساوون في تلقي نور الهداية ورسالة الوحي: كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وبعد ذلك يأتي توفيق الله ورعايته. ﴿ فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: 125]».

بل انظر معي إلى فضل الله وكرمه وتوفيقه:

بلقيس خرجت إلى سليمان ﷺ ترجو الحفاظ على عرشها وملكها، فرجعت مسلمة لله رب العالمين ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل: 44].

وتأمل في كرم الكريم الأكرم وتوفيقه لعبده:

- **عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل**، كيف كان؟ وكيف أصبح؟ كان راعيًا لغنم سيده الكافر عقبة بن أبي مُعيط، يخدمه ليلًا ونهارًا، ثم أصبح بعد ذلك خادمًا لمن؟! لرسول رب العالمين ﷺ.

- **وهذا النجاشي ملك الحبشة لم ير النبي ﷺ في حياته**، فيلتقي مع أحد أصحاب النبي ﷺ فيسمع آيات تتلى من القرآن العظيم، ويسمع عن أخلاق نبينا الكريم في موعظة قصيرة، فتقوده إلى الإيمان والإسلام ويموت عليهما، ثم يصلي عليه نبينا ﷺ صلاة الغائب، رسول رب العالمين يصلي ويدعو له بالرحمة والمغفرة.

فأي توفيق بعد هذا؟!

فتوفيق الله للعبد لا يكون بالنسب، ولا باللون، ولا بالوطن، وإنما فضل الله يؤتيه من يشاء.

● **وهذا سُراقة بن مالك** في بداية أمره يريد القبض على رسول الله ﷺ، ويسلمه لزعماء قريش في مكة؛ لينال «الجائزة الدنيوية» مائة ناقة، وإذا بالأمور تنقلب رأسًا على عقب، ويصبح يرد الطلب عن رسول الله ﷺ، فجعل لا يلقى أحدًا من الطلب إلى رده، قائلا: كفيتم هذا الوجه! أي: هذا الطريق.

فلما اطمأن أن النبي ﷺ وصل إلى المدينة، جعل سراقة يقص ما كان من قصته وقصة فرسه، واشتهر هذا عنه، وتناقلته الألسن حتى امتلأت به نوادي مكة.

لقد عاد بعد هذه المغامرة الخاسرة ماديًا بأوفر ربح وأطيب رزق، وهو رزق الإيمان والهداية والتوفيق، ثم يُتوج بعد ذلك بأفضل من مائة ناقة؛ بسواري كسرى، فسبحان مقلب القلوب، وموفق من شاء من عباده!

وفي هذا المقام – مقام التوفيق – يقول الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أصمعي، إن الله خلق الجنة لمن أطاعه وإن كان عبدًا حبشيًا، وخلق النار لمن عصاه، وإن كان ولدًا قرشيًا! يا أصمعي، أما سمعت قول الله جل وعلا ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ** ﴾ [المؤمنون: 101].

ولنعلم ونحن في بداية طريقنا أن من أعظم العقوبات هو إصابة الإنسان بالخذلان في حياته الدنيا والغفلة عن آخرته ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14].

عندها يصرخ صرخة الندم والألم! ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 100].

قال الفضيل بن عياض (رحمه الله): «من استحوذت عليه الشهوات، انقطعت عنه مواد التوفيق».

نعم، إنها مواد التوفيق والخيرات والبركات والفضائل.

نُذكر بذلك؛ لتعرف – أيها الموفق – أين تضع خطواتك في سيرك إلى ربك.

وفي رسالة لطيفة يقول الشيخ صالح المغامسي حفظه الله: أعظم شيء ارتفع وصعد إلى السماء الإخلاص، وأعظم شيء نزل إلى الأرض التوفيق، وبقدر الإخلاص يكون التوفيق. ا.هـ.

وأعظم أمر يستدل به المرء على إخلاصه عبادته في حال السر والخفاء، فإن قام بطاعة الله عند غياب الناس إليه فهو مخلص، كما ذكر ذلك الشيخ عبد العزيز الطريفي وفقه الله.

والآن، هيا بنا – أيها الأحبة – نقف وإياكم على هذه المعالم على طريق التوفيق؛ لعلنا نسير في ركابهم، ونقتفي آثارهم، فالقافلة في انتظارنا.

إضاءة على الطريق:

التوفيق:

لا يُطلب بالمال ولا بالحسب ولا بالجاه.

وإنما توفيق من الله يصطفي من يشاء من عباده.

* * *

أولًا: القرآن الكريم

إن من أعظم معالم التوفيق: حبك للقرآن الكريم، والعيش معه، وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، والعمل به والدعوة إليه، ودعمه وتشجيعه.

القرآن الذي ما أُعطي حقه وقدره في هذا الزمان ﴿**إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾ [الإسراء: 9].

أيها الموفق تأمل في هذا الأجر الكبير:

عن عقبة بن عامر ﷺ: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: «**أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطيعة رحم؟**» فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك. قال: «**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم، أو يقرأ آيتين من كتاب الله ﷻ خيرٌ له من ناقتين، وثلاث خيرٌ له من ثلاث، وأربع خيرٌ له من أربع ومن أعدادهن من الإبل**». [صحيح مسلم].

الله أكبر ولله الحمد!

كم تستغرق هذه الآيات من دقائق معدودة، فترى العبد الموفق مثلا بعد صلاة الفجر أو العصر يجلس في مسجده ولو لعشر دقائق يقرأ ويتدبر في كتاب ربه ومولاه، يحرك قلبه ويستجيش مشاعره، يجمع من الحسنات آناء الليل وأطراف النهار، يستزيد منه رحمة وهدى وشفاء وتوفيقا.

تأمل أيها الموفق:

عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**». [رواه الترمذي (2910)، وقال حديث صحيح].

إنه القرآن الكريم! أعظم كتاب نزل من السماء ﴿ **وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** ﴾ [الإسراء: 105].

قال بعض السلف: «القرآن ثقيل لا يقدر أن يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق مزين بالتوحيد».

ألم يقل ربنا: ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** ﴾ [المزمل: 5]؟

يقول الصحابي الجليل أبو هريرة ﵁: «البيت الذي يتلى فيه كتاب الله كثر خيره، وحضرته الملائكة، وخرجت منه الشياطين، والبيت

الـذي لا يتلـى فيـه كتـاب الله ضـاق بأهلـه، وقـل خـيره، وحضـرته الشياطين، وخرجت منه الملائكة». ا.هـ.

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: 88].

ويهتف الشيخ صالح المغامسي حفظه الله قائلاً: «لا يُرام صلاح قلب وإصلاح نفس إلا بالقرآن، ولا يقام ليل حق القيام إلا بالقرآن، ولا يوجد كتاب قرأته كنت أقرب إلى ربك أعظم من القرآن، ولا شفاء لأرواح الموحدين وقلوب العابدين إلا بالقرآن». ا.هـ.

أخي الموفق:

تأمل في هذه الآية التي تهز قلب المؤمن وتزيده إيمانا وحبا وإقبالا على كتاب ربه: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: 51].

أيها الموفق:

أكثر من قراءة كتاب ربك الكريم، ليلًا ونهارًا، ابدأ يومك بالقرآن واختم يومك بالقرآن، واجعل لك وردًّا لا يفوتك أبدًا بإذن الله، اجعل لك محفوظًا يوميًا ولو آية واحدة من كتاب الله، تزيد بها إيمانك، إن العجز كل العجز من عجز عن حفظ ودراسة وتفسير آية

واحدة فقط، ابذل الجهد، فرّغ نفسك، لا يمر عليك يوم إلا وقد قرأت فيه القرآن، اجعل بجوارك تفسيرًا ميسرًا، تطالع فيه ما لا تعرفه وتجهله، مع الاجتهاد في العمل به، والدعوة إليه، فإن هذا هو طريق الموفقين.

إضاءة على الطريق:

كتاب الله بين يديك.

فماذا أعطيته من جهد ووقت وتلاوة وتدبر وعمل واستجابة؟

أجب على نفسك بكل صراحة!

***

ثانيًا: السنة نجاة

ومن معالم التوفيق السير على ما سار عليه محمد ﷺ، واتباع سنته ظاهرًا وباطنًا؛ في صلاته وصيامه وحجه وذكره وبيعه وشرائه وبيته ومعاملته وحِلَّه وترحاله، وفي كل شأن من شئون حياته، بل لا يكتفي بذلك، بل يدعو لها ويبلغها أسرته وأقاربه وأحبابه وجيرانه وكل من يعرف. هذا دأب الموفق إلى أن يلقى ربه وهو على سنة المصطفى ﷺ. ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 163].

هذا هو الإسلام حقًّا، حياتك كلها لله، وهذا والله هو طريق التوفيق.

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7].

فالسنة كالسفينة؛ من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق كما قال مالك (رحمه الله)، وبقدر ما تعلم وتعمل بسنة رسولك ﷺ يكون توفيقك وسعادتك في الدنيا والآخرة.

هذا فاروق هذه الأمة يقول: والله إني لأُقبّلك، وأني أعلم أنك حجر، لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبَّلك ما قبلتُك.

وهذا يدل دلالة واضحة صادقة في اتباع سنة نبينا محمد ﷺ والحرص عليها قولًا وعملًا.

قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله): وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدِّين وحُسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه.

يقول الشيخ صالح بن طالب حفظه الله: منزلة المؤمن تقاس باتباعه للرسول ﷺ، وكلما كان تطبيقه للسنة أكثر كان عند الله أعلى وأكرم؛ فالتمسك بالسنن تحصين للفرائض والواجبات، وباب لزيادة الأجر والحسنات وجنوح إلى الأجمل والأكمل، وهو شرف الاتباع وحلاوة الاقتداء، فلا تزيغ به الأهواء، وفوق هذا كله محبة الله الجليل.

ويذكرنا الحافظ ابن حجر (رحمه الله) بقوله: وقد كان صدر الصحابة ومن تبعهم يواظبون على السنن مواظبتهم على الفرائض، لا يفرقون بينهما في اغتنام ثوابهما.

رضي الله عنهم، ذلكم هو الجيل المتميز الموفق.

آهٍ ثم آه! كم تُركت من سُنة من سنن المصطفى في هذا الزمن مع الأسف! وما ذاك إلا لضعف الإيمان في تلك القلوب، وعدم استشعار الأجور الكبيرة المترتبة على ذلك، وسيأتي علينا يوم نعرف فيه قدر وعظمة الحسنة الواحدة.

بل إن من علامات حب السُّنة النبوية أيها الموفق ما يلي:

- كثرة قراءها ومطالعة كتبها – وها هي بين أيدينا مطبوعة أجمل الطبعات الفاخرة – صحيح البخاري، ومسلم، إلخ...، فهل من قارئ لها؟
- محاولة حفظها والحزن والأسف على فوات ذلك.
- الفرح بمجالسها ومنتدياتها ولقاءاتها.
- الشوق إليها إذا طالت الغيبة عنها.
- تطبيقها في جميع جوانب الحياة.
- كما ذكر ذلك د: خالد اللاحم في كتابه الرائع مفتاح تدبر السنة، بل وتأمل في كلام ابن بطة (رحمه الله) في الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة قال:

ومن السنة اتباع رسول الله ﷺ، والاقتفاء لأمره، والاقتداء بهديه والأخذ بأفعاله، والانتهاء إلى أمره، وإكثار الرواية عنه في كل ما سنّه واستحسنه وندب إليه، وحرض أمته عليه ليتأدبوا به، فتحسن بذلك في الدنيا آدابهم، ويعظم عند الله قدرهم.

ويقول الدكتور خالد أبو شادي – وفقه الله – في رسالة بعنوان: حبا بحب.

إنه باب عظيم أن تحيا ورسول الله ﷺ في خاطرك، في ضميرك، يُملي عليك أفعالك، أقواله تصنع أفعالك، سيرته تصوغ سيرتك في امتزاج بديع، وتآخ رفيع بينك وبين نبيك ﷺ، والحب كان ولا يزال ثمرة المعرفة، فكلما كانت معرفتك بنبيك أكبر، كلما كان حبك له أقوى واقتداؤك به أشد؛ لأجل هذا كان الناس متفاوتين في محبتهم لنبيهم واقتدائهم به تبعًا لتفاوت معرفتهم به وبقدره.

أيها الموفق:

ارفع رأسك، واعتز بدينك، واتبع نبيك؛ فهو الأسوة والقدوة لك، وسر على بركة الله؛ فإنك على الحق المبين.

وتذكر دائما قول فاروق هذه الأمة رضي الله عنه: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله. ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]».

قال ابن سعدي (رحمه الله): «وهذه الأسوة الحسنة إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجو الله واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان وخوف الله ورجاء ثوابه وخوف عقابه يحثه على التأسي بالرسول ﷺ».

وصدق الله: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: 80].

إضاءة على الطريق:

كتاب الموفق من جعل سنة نبيه ﷺ.

أمام عينيه، متبعًا لها عاملًا بها، داعيًا إليها.

* * *

ثالثًا: أبواب الجنة الثمانية

ومن معالم التوفيق الوضوء. ألا ما أجمل هذه الكلمة على قلب المؤمن الصادق! لها في قلبه حلاوة؛ فالوضوء من الوضاءة وهي الحسن والبهاء والجمال، والوضوء مفتاح وشرط للصلاة للوقوف بين يدي ذي الجلال والإكرام، فالموفق الذي يسعى جاهدًا على أن يكون على وضوء وطهارة.

فالوضوء نظافة وطهارة وغسل للذنوب والخطايا والآثام التي ابتلينا بها في هذه الأزمنة، بل الوضوء أجر وثواب كبير: ﴿ **إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ [البقرة: 222].

الوضوء للصلاة، الوضوء عند النوم، الوضوء على قدر استطاعتك في حلك وسفرك وترحالك.

الوضوء رفع للدرجات، وكسب للحسنات، وحطٌّ للسيئات.

تأمل، قال ﷺ: «**إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن، فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل**

خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقيًا من الذنوب». [صحيح الجامع (450)].

تأمل في حال هذا الموفق مؤذن الإسلام الأول الذي رفعه الله بالإسلام: بلال بن رباح رضي الله عنه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر: «**يا بلال، حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام؛ فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة**».

قال: ما عملتُ عملًا أرجى عندي أني لم أتطهر طُهورًا في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطُهور ما كتب لي أن أُصلي. [رواه البخاري 1081].

وهذا في زمن يكاد أن ينـدر فيه الماء للشرب، ناهيك عن ماء للوضوء، فكيف نحن اليوم – ولله الحمد والمنة – والماء متوفر في كل مكان في بيوتنا، في مساجدنا، وعلى الطرقات والأسواق وغيرها، ما بقي علينا إلا أن نشمر عن سواعد الجد والسير على هذا الطريق.

بل كان علي بن الحسن رضي الله عنه إذا توضأ اصفر لونه، فقيل له: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟

قال: أتدرون بين يدي مَنْ أريد أن أقوم؟!

إنها قلوب صادقة، ونفوس موفقة عرفت كيف تعظم الله حقًّا؛ أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهذا هو طريق التوفيق والإحسان. ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32].

وصدق المزني أبو بكر (رحمه الله) حينما قال:

من مثلك يا ابن آدم؟

خُلِّي بينك وبين المحراب والماء، كلما شئت دخلت على الله ﷻ ليس بينك وبينه ترجمان!

قال ﷺ: «**من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره**». [صحيح الجامع (6169) عن عثمان].

إضاءة على الطريق:
الماء بين يديك.
قم الآن وأسبغ الوضوء.
وكن من التوابين المتطهرين.

* * *

رابعًا: الصلاة نور

ومن معالم التوفيق الكبرى ما أن تسمع «حي على الصلاة» «حي على الفلاح»، إلا وتُسارع إلى الوضوء، فهذا علامة الإيمان والتوفيق.

نعم، قم إلى الصلاة متى سمعت النداء، وبكّر إليها ما استطعت، فهذا عنوان صدق المحبة، وأمارة التوفيق والفلاح.

إن الاستعداد للصلاة والانطلاق إلى المسجد والحرص كل الحرص على الصف الأول الذي زهد فيه كثير من الناس في هذا الزمن، ولو علموا قدر الأجر والثواب العظيم لمشوا إلى المسجد ولو حبواً على الرُّكب!

عن أُبي بن كعب ﷺ قال: كان رجل لا أعلم رجلًا أبعد من المسجد منه، لا تخطئه صلاة، قال: فقيل له أو قلت له: لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء وفي الرمضاء.

قال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي.

فقال ﷺ: «**قد جمع الله لك ذلك كله**»، وفي لفظ: «**إن لك ما احتسبت**».

قال الإمام النووي (رحمه الله): فيه إثبات الثواب في الخُطى في الرجوع كما يثبت في الذهاب. ا.هـ.

ألم يقل ربنا في محكم التنزيل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: 12]؟

بل، بلغ ببعض ممن وفقهم الباري أن يتقدم للصلاة ولو لبضع دقائق قبل الآذان مسارعة ومسابقة للفضل والأجر، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

ألم يقل ربنا في كتابه العزيز: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: 21]؟ عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**». [صحيح الجامع (2618)].

﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: 78]. فالصلاة نور هكذا قال نبينا ﷺ، نور لك أيها الموفق في وجهك، نور لك في قلبك، نور

لك في حياتك كلها، نور لك يوم القيامة، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: 35]. عن أنس ﷺ مرفوعاً: «**أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله**». [السلسلة الصحيحة 1358].

إنها مفتاح التوفيق لخير الدنيا والآخرة.

إنها النور، إنها الهدى، إنها بوابة التوفيق.

الصلاة موطن تضرع وخشوع وإخبات وبكاء ودعاء.

فأين أنتم يا أصحاب الحاجات؟!

فها هي الأبواب قد فتحت لنا، فهل من مشمر؟ يقول ابن القيم (رحمه الله) في زاد المعاد: «الصلاة صلة بالله ﷻ، وعلى قدر صلة العبد بربه ﷻ تفتح عليه من الخيرات أبوابها، وتقطع من الشرور أساسها، وتفيض عليه مواد التوفيق من ربه ﷻ، والعافية والصحة والغنيمة والغنى والراحة والنعيم والأفراح والمسرات كلها محضرة إليه ومسارعة إليه». ا.هـ. فهذا عكرمة الصحابي الجليل يعبر عن نفسه قائلًا: «ما أذن المؤذن منذ أسلمت إلا وأنا في المسجد ومستعد لها بالأشواق».

فكيف هو حالنا اليوم مع صلاتنا؟! بل يقول ابن تيمية (رحمه الله): «وعماد الدِّين الذي لا يقوم إلا به هو: الصلوات المكتوبات، فينبغي

الاعتناء بها ما لا تعنى بغيرها». ا.هـ. ولنقف قليلًا معا في كلام الغزالي (رحمه الله) حيث قال: «إنما يقبل الله من صلاتك بقدر خشوعك وخضوعك، فاعبده في صلاتك كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فإن لم يحضر قلبك ولم تسكن جوارحك، فهذا لقصور معرفتك بجلال الله تعالى، فعالج قلبك عساه أن يحضر معك في صلاتك، فإنه ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها». ا.هـ.

«**إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عُشر صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها**» [صحيح الجامع (1626) عن عمار بن ياسر – حسن –].

ويؤكد هذا المعنى العلامة العثيمين (رحمه الله) قائلًا: «أشهد الله أننا لو أقمنا الصلاة كما ينبغي، لكنا كلما خرجنا من صلاة خرجنا بإيمان وتقوى راسخة». نعم، أول أسباب التوفيق والفلاح والنور تنطلق من المسجد، فإذا رأيت الرجل يكثر من الذهاب إلى المسجد خمس مرات في اليوم والليلة، فاعلم أن الله أراد بك خيرًا وتوفيقًا.

إضاءة على الطريق:

لمكانة الصلاة وعظمتها؛

كانت الأمر الأول الذي يُحاسب عليه العبد يوم القيامة.

خامسًا: ادعوا ربكم تضرعا وخفية

ومن معالم التوفيق لعبده أن يدعو ربه الكريم العظيم في كل وقت وحين، فهو القائل سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186].

الموفق – حقًّا – من يكثر من دعاء ربه في كل ساعة وحين؛ لعله أن يوافق ساعة إجابة، فيظفر بمطلوبه، فيسعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا.

فإذا فتح الفتاح العليم على عبده باب الدعاء، تتابعت عليه الخيرات والبركات من كل مكان.

إذن أيها الموفق:

- من الذي يمنعك من دعاء ربك؟
- من الذي يحول بينك وبين ربك؟

لو اجتمع من في الأرض جميعًا على أن يمنعوك، لم يستطيعوا؛ لأن الباب مفتوح بينك وبين ربك، ليس عليه حاجب أو ترجمان!

وصدق رسولنا الكريم حين قال: «**الدعاء هو العبادة**».

رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح عن النعمان بن بشير.

الرسول الرؤوف الرحيم الذي طالما دعا ربه لنفسه وأهله وأصحابه وأمته والخلق أجمعين، حتى قال عنه ربه جل وعلا: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: 8].

الموفق من يتحرى أوقات الإجابة، ويغتنم الفرص، ويسدد الهدف داعيًا لنفسه ولأهله وأمته بالتوفيق والسداد والصلاح.

قال ابن تيمية (رحمه الله): والعبد كلما كان أذل لله وأعظم افتقارًا وخضوعًا له، كان أقرب له وأعز له وأعظم لقدره، فأسعد الخلق أعظم عبودية لله. ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: 55].

ويحذر الشيخ أحمد الصويان حفظه الله قائلاً: العبد مهما بلغت منزلته، لا يأمن على نفسه الفتنة، ويخشى أن تجرفه رياح الأهواء والفتن، وإمام المتقين، يتضرع إلى الله بالثبات كما في الصحيح، فكيف بنا نحن المحاويج؟!

وتأمل معي في هذا الدعاء القرآني لهذا العبد الموفق: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا

تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: 15].

أيها الموفق:

تعلَّم هذا الدعاء، وعلِّمه أهل بيتك ومن تحب، تفز بخير وأجر عظيم.

وما وُفِّق من وفق، وفاز من فاز، وسلك طريق التوفيق، وظل ثابتًا عليه حتى الممات، إلا بسبب دعوة صادقة خرجت من قلبه أو من قلب غيره فتحت لها أبواب السماء!

كم من فقير أغناه الله بدعوة وجهها إلى ربه أو وجهَّها له غيره في ظهر الغيب!

كم من صاحب حاجة قضى الله حاجته كان وراء ذلك تضرع وبكاء ودعاء!

كم من طالب علم سلك الطريق القويم، أصبح علمه مباركا أينما حل، كان بسبب دعوة أطلقها هو أو غيره خرجت من قلب أصاب إخلاصا، فتحت لها أبواب السماء!

كم من والد رُزق بأبناء صالحين مصلحين، كان وراء ذلك دعوة في ظهر الغيب!

ما أجمل أن يرفع العبد يديه إلى السماء داعياً ربه القادر المجيب الفعال لما يريد، طارحاً مسألته بذل وخضوع وخشوع وانكسار، فهو مجيب الدعوات وقاضي الحاجات، مفرج الهموم والغموم، عندها:

أبشر بالذي يسرك من الكريم الرحمن:

قال ﷺ: «**إن ربك حييٌّ كريم، يستحي أن يبسط العبد يديه إليه فيردَّهما صفرًا**». [صحيح الجامع (حسن) عن سلمان 2070].

إنه أكرم من دُعي، وخير من رُجي، فأين السائلون لحوائجهم؟

وعن أبي هريرة مرفوعاً: «**من سرَّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب، فليكثر الدعاء في الرخاء**». [السلسلة الصحيحة 2342].

إذن: هيا بنا نتعلم فن الدعاء.

أيها الموفق:

قم في الدُّجى قيام مشفق سائل منكسر بين يدي ربه، وأجب من ينادي:

هل من سائل فأعطيه؟

هل من داع فأستجيب له؟

هل من مستغفر فأغفر له؟

لعلك تحظى بالقبول الحسن والتوفيق الرشيد.

وصدق عمر الفاروق حين قال:

إني لا أحمل همَّ الإجابة، ولكن أحمل همَّ الدعاء.

سهام الليل لا تُخطى ولكن لها أمدٌ وللأمد انقضاء

قال عطاء (رحمه الله): متى أطلق الله لسانك بالدعاء فاعلم أنه يريد أن يعطيك ما تشاء مهما عز مرادك وعظم مطلبك.

إنه الدعاء مفتاح لكل خير يناله العبد في الدنيا والآخرة، فنلزم هذا المفتاح العظيم؛ فإنه باب لجلب الخيرات، وتنزُّل الرحمات.

يقول ابن القيم (رحمه الله) في الجواب الكافي: الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه إذا نزل، أو يخفِّفه إذا نزل، وسلاح المؤمن، فإذا اجتمع مع الدعاء حضور القلب، وجمعيَّته بكليته على المطلوب، وصادف وقتًا من أوقات الإجابة، وصادف خشوعًا في القلب، وانكسارًا بين يدي الرب، وذُلًّا له، وتضرعًا ورقة واستقبال القبلة، وكان على طهر، ورفع يديه إلى الله تعالى، وبدأ بالحمد، والثناء عليه، ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ، ثم قدَّم بين دعائه رغبة ورهبة، وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدم بين يدي دعائه صدقة؛ فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد.

أيها الموفق:

عش مع هذه القصة بقلبك ومشاعرك، وانظر ماذا صنعت سهام الليل!

عن الحسن (رحمه الله) قال: كان رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار، يكنى أبا معلق، وكان تاجرًا يتجر بمال له ولغيره، يضرب به في الأفاق، وكان ناسكًا ورعًا، فخرج مرة فلقيه لصٌّ مقنعٌ بالسلاح.

فقال: ضع ما معك؛ فإني قاتلك.

قال: ما تريد من دمي فشأنك والمال.

قال: أما المال فلي، ولست أريد إلا دمك.

قال: أما إذا أبيت فذرني أُصلي أربع ركعات.

قال: صلِّ ما بدا لك.

فتوضأ ثم صلّى أربع ركعات، فكان من دعائه في آخر سجدة أن **قال**:

يا ودود يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعالًا لما تريد

أسألك بعزك الذي لا يُرام، وبملكك الذي لا يُضام، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص.

يا مغيث أغثني، يا مغيث أغثني، يا مغيث أغثني.

فإذا بفارس أقبل بيده حربة، وقد وضعها بين أذني فرسه، فلما بصر به اللص أقبل نحوه، فطعنه فقتله، ثم أقبل إليه فقال: قم.

فقال: من أنت بأبي أنت وأمي؟ فقد أغاثني الله بك اليوم.

فقال: أنا ملك من السماء الرابعة، دعوت بدعائك فسمعت لأبواب السماء قعقعة، ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لأهل السماء ضجة، ثم دعوت بدعائك الثالث قيل لي: دعاء مكروب، فسألت الله أن يُوليني قتله. قال الحسن (رحمه الله): فمن توضأ وصلى أربع ركعات ودعا بهذا الدعاء، استجيب له مكروبًا كان أو غير مكروب.

أعرفت – أيها الموفق – أثر الدعاء والسجود لله رب العالمين؟!

من الآن قل: يا ربِّ، أسألك التوفيق، وأطلب منك التيسير، ولا حول ولا قوة إلا بك يا رحمن يا رحيم.

اللهم وفقني لصالح القول والعمل، واحفظني من الخطأ والزلل يا أرحم الراحمين.

إضاءة على الطريق:

أخي: لا تدري متى تفتح لك أبواب السماء.

استمر في دعائك في كل وقت وحين؛

لعلك تفوز بدعوة مباركة.

سادسًا: العلم نور

ومن معالم توفيق الله لعبده طلبه للعلم والحرص عليه والدلالة عليه.

لماذا؟

لأن طلب العلم نور، وهو طريق الرضوان، وباب الخشية، وعلامة التوفيق، وسبيل الفلاح الموصل إلى الجنة.

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114].

قال ﷺ: «**ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة**». [رواه مسلم].

وما أجمل ما قاله الشاعر:

ما الفضلُ إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلَّاء

وقدرُ كل امرئ ما كان يحسنُه ... والجاهلون لأهل العلم أعداءُ

ففُز بعلم تعِش حيًّا به أبدًا ... الناسُ موتَى وأهلُ العلم أحياءُ

أخي الموفق:

وأنت سائرٌ في طريق طلب العلم، اسأل ربك التوفيق والبركة فيه،

وتذكر قول ابن خُشرم (رحمه الله) حين قال: كثيرًا ما كان ابن تيمية يقول: «توفيق قليل خيرٌ من علم كثير».

قال ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدِّين**». [متفق عليه].

دلّ ذلك على أن من علامة التوفيق الفقه في الدِّين، لماذا؟ لأنه بذلك يعبد الله على بصيرة ونور، ويدعو غيره على بصيرة وعلم وهدى، فيا ليت قومي يعلمون! بل تأمل في هذا الفضل، وهذا الكرم، وهذا التوفيق لمن سلك وسار في طريق العلم والتعلم.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سلك طريقًا يلتمسُ فيه علماً، سهَّل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم**». [صحيح الجامع 6297].

بل يقول ابن القيم (رحمه الله) مادحًا ومحبًا للعلم: لو أن العلم صوّر صورة لكان أجمل من صورة الشمس والقمر! ولنعلم جميعًا أن بكلمة «اقرأ» تفجرت ينابيع العلم والحكمة والنور والهدى والتوفيق في آفاق الكون كله: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق]. ويوجه لنا ابن الجوزي (رحمه الله) خطاباً قوياً يقول فيه: يا ضعيف العزم، لو علمت فائدة العلم، لسهرت الليل وأظمأت النهار، وجعلت نوافلك في العلم. ا.هـ.

ها هي – أخي الموفق – إعلانات دروس العلماء في المساجد مُشرعة أبوابها، هلمَّ إليها، محاضرات الدعاة الفضلاء في كل مكان تناديك،

الملتقيات والمخيمات والدورات، والبرامج والأشرطة بأنواعها، كلها كنوز بين يديك.

فما الذي يمنعك؟ وما الذي يشغلك؟ فأين أنت؟

ورحم الله من قال: من المحبرة إلى المقبرة.

ويحدثك المحدث الألباني (رحمه الله) قائلًا: وها أنا ذا بعد أن سلخت من عمري قرابة الستين عاماً ماشياً في ركاب العلم الشريف، أعود بالنظر والتهذيب والتقريب فيه، وكأني لازلت على أول مدرجته، ما خطوت خطوة في طريقه إلا وأراني في أوله. يقولون ذلك؛ لأنهم عرفوا أن العلم نور يهدي إلى الحق، والموفق من وفقه الله وهداه إليه.

وختامًا: يقول الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله): الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس.

إضاءة على الطريق:

قال مالك بن أنس: حق على من طلب العلم أن يكون له وقارٌ وسكينةٌ وخشية؛

فإن من سعادة المرء أن يوفق للخير،

وإن من شقوة المرء ألَّا يزال يُخطئ.

سابعًا: نعمة المال

من معالم التوفيق إذا أنعم المنعم المنان عليك بالمال الوفير لحكمة يعلمها الرب جل وعلا، فإذا اجتمع الصلاح في المرء والمال الحلال فهذا هو التوفيق، وبشّره بالحياة الطيبة.

فقد قال نبينا ﷺ: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**». عن عبد الله ابن عمرو بن العاص (صحيح الألباني)، موقع الدرر السنية.

فتجد الموفق يسخر ماله في طاعة ربه، فتراه يسأل عن عمل الخير هنا وهناك؛ لكي يصرفه في وجوه البر والإحسان؛ لأن قلوب الأبرار تغلي بما فيها من جواهر وكنوز طيبة وعمل صالح، وما أكثرها فهي بحر لا ساحل له، وتجارة مع الله لن تبور، ولا يُوفق لهذا إلا مُوفق سعيد، وعلى خُطى التوفيق، فسِر وثابر.

﴿ **وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: 272].

يقول الشيخ عبد المحسن القاسم حفظه الله:

المال المبارك ما كثر خيره، وتعددت منافعه، وبذل في طرق الخير والإحسان ابتغاء مرضاة الله، ومن قنع بربح قليل حلال، وتحرى الصدق في معاملاته، ظهرت البركة في ماله وفي أولاده، قال ﷺ: «**إن**

هذا المال حلوة، من أخذه بحقه فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع». ا.هـ.

تأمل معي في هذا الموقف وصاحبه الموفق؟

يوجه النداء ﷺ: من يشتري بئر رومة وله الجنة؟

فيتقدم ذو النورين الموفق ويشتريها؛ ليطفئ لهيب الظمأ في تلك القلوب الطاهرة، بل ويجعل دلوه مع دلاء المسلمين.

يقول عبد الرحمن بن عوف ﷺ: يا حبذا المال أصون به عرضي وأتقرب به إلى ربي.

وهو الذي كان يُسير القوافل الكثيرة المليئة بالخيرات في سبيل مرضاة الله، فيجعلها صدقة للفقراء والمساكين.

وصدق الله: ﴿ **فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى** ﴾ [الليل: 7].

ولنعلم أيضًا أن من أثرياء المسلمين الكبار من كان من العشرة المبشرين بالجنة، ولم يمنعهم الثراء والغنى من المسابقة والمسارعة في الخيرات، بل ونيل شرف صحبة رسول الله ﷺ.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23].

أيها الموفق:

تاجر مع الله، في الفقراء والمساكين، امسح دموع اليتامى والأرامل والمحتاجين، أعن بمالك طلاب العلم الفقراء، يكن لك من الأجور ما لا يعلمه إلا الله جل جلاله.

والله لا ينفعك إلا ما قدمت يداك، حقيقة لابد أن تعرفها حق المعرفة. ألم تسمع قول الكريم الذي أعطاك وحباك: ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: 33]. عن عائشة (رضي الله عنها): أنهم ذبحوا شاةً. فقال النبي ﷺ: «**ما بقي منها؟**» قالت: ما بقي إلا كَتِفُها. قال ﷺ: «**بقي كُلَّها، غير كتفها**». [صحيح سنن الترمذي 2470/2].

إذن، هيّا تحرك الآن، تفقدهم في حيِّك في قريتك، في مدينتك، ولا تخش من ذي العرش إقلالا.

قال السعدي (رحمه الله): ومن الأسباب التي تزيل الهم والغم والقلق، الإحسان إلى الخلق: ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا

﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56].فكن من المحسنين الموفقين.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: 39].

أيها الموفق:

إليك هذا الكنز النبوي الذي تفرح به القلوب المؤمنة الواثقة بما عند الله خير وأبقى.

يقول رسول الهدى ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً**». [أخرجه مسلم].

إضاءة على الطريق:

ما بين يديك من أموال، فهو من فضل الله عليك، ليس بكسبك ولا بكدحك.

فاعرف قدر نفسك.

* * *

ثامنًا: بر الوالدين

ومن معالم التوفيق برك بوالديك، والتفاني في طاعتهما وخدمتهما ليلًا ونهارًا؛ ففيهما فجاهد، هكذا نطق الرسول صلى الله عليه وسلم.

الموفق من أسعد والديه بكل ما تحمله كلمة السعادة من معنى، حباً، وبراً، وعطاءً، ووفاءً، وكرماً، ومالاً، وسفراً، وشكراً.

الموفق من يفكر دائما كيف أدخل السرور على قلبيها.

يقول الشيخ عبد المحسن القاسم حفظه الله: بر الوالدين خُلق الأنبياء، ودأب الصالحين، وسبب تفريج الكربات، وتنزل البركات وإجابة الدعوات، به يشرح الصدر وتطيب الحياة، وهو طريق الجنة، ففي الحديث: «**الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو أحفظه**». [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

إنه طريق البر والتوفيق الموصل إلى رضوان الله والجنة.

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: 23].

عن أصبغ بن زيد قال: إنما منع أويساً أن يقدم على النبي ﷺ برُّهُ بأمِّه. [سير أعلام النبلاء (4)].

والموفق من استخرج من قلبيهما الدعاء الصادق له بالتوفيق والسداد قبل رحيلهما من الدنيا.

أيها الموفق:

دعاءُ والديك لك بالتوفيق والرشاد؛ فإنهما من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة، واعلم أن دعوتهما مستجابة.

ويخاطب الشيخ سلمان العودة – حفظه الله – الآباء والأمهات، ويلفت أنظارهم قائلًا: لا تدعوا على أولادكم إلا بخير، حتى لو غضبتم، فالدعوة الصالحة الصادقة من الوالدين مظنة الإجابة، وأن تفتح لها أبواب السماء، فاجعلوا دعواتكم لهم جزءًا من مشروع التربية والتوجيه والأمل الجميل. ا.هـ.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74].

كم سَعِد من سعد! كم فاز من فائز! بعلم أو تجارة أو خُلقٍ أو منصب، كان وراء ذلك دعوة صادقة خرجت من قلب أم أو أب، فلا تحرموا أولادكم بمثل هذه الدعوات.

أيها الموفق:

أقولها لك بكل صدق وصراحة، تلذّذ في حياتك الدنيا ببرك بوالديك، وتفنن ببرك بهما، وخاصة أمك، كما تتلذّذ بحلو الطعام والشراب، ألم يقل نبينا ﷺ: «**الزم رجلها؛ فثم الجنة**». فماذا تريد إذن؟

أخي الغالي:

ها هي أمك الغالية الحنون بين يديك، اطلب رضاها، تمتع ببرك بها، ابذل لها كل ما تحب، اجعلها تدعو لك بالتوفيق.

ووالله ستوفق إن شاء الله في حياتك، وستعيش سعيدًا ببرك لها في الدنيا والآخرة.

ولتعلم أيها الموفق أن:

أمك هي صاحبة القلب الأول في الدنيا الذي يحبك بصدق.

أمك هي صاحبة الإنجاز الأول في حياتك.

أمك هي التي جعلتك يُشار لك بالبنان.

أمك هي التي حملتك في بطنها تسعة أشهر.

أمك هي التي أرضعتك حولين كاملين، وأنت تشرب من صميم فؤادها.

أمك هي نبع العطف والحنان، فهل عرفنا حقها؟!

أمك هي التي تعجز العبارات والكلمات عن وصفها.

أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك. هكذا نطق بها الصادق المصدوق: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾ [الرحمن: 60].

إضاءة على الطريق:
طوبى لمن أسعدها في دنياه،
ففاز بخير الدنيا والآخرة.

* * *

تاسعًا: طال عمره وحسن عمله

ومن معالم التوفيق التي نراها يوميًّا في أقاربنا وأحبابنا وجيراننا وعلمائنا من كبار السن ممن بلغ السبعين، بل ويسير إلى التسعين عامًا، وهو ممتعٌ بعقله، وإن ضعف بصره، ورق عظمه، فتراه محافظًا على الصلوات في المسجد، ذاكرًا لله تعالى، يحب الصدقة، ويحث عليها بل وبعضهم مهتم بالدعوة إلى الله تعالى إلى آخر أيام حياته.

﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر: 99].

نعم، كل يوم يعيشه المؤمن غنيمة، فالأيام والشهور والسنين لا تزيد الموفق إلا قربًا من ربه وخالقه، بل كان من دعائه ﷺ: «**واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، والموت راحة لي من كل شر**».

وممن أدركنا من هؤلاء العلامة ابن باز، والعلامة ابن عثيمين، والعلامة ابن جبرين رحم الله الجميع؛ ففي حياتهم الدروس والعبر في طلب العلم والدعوة إلى الله ونفع الخلق وبذل المعروف.

عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم بخياركم؟ خياركم أطولكم أعماراً، وأحسنكم أعمالًا**». [السلسلة الصحيحة 1298].

وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «**خير الناس من طال عمره وحسن عمله، وشر الناس من طال عمره وساء عمله**». [صحيح الجامع 3297 عن أبي بكرة].

أيها الموفق: كن كالنخلة كلما طال عمرها ازداد خيرها ونفعها، وهكذا المؤمن الموفق إذا طال عمره ازداد خيره وبره وإحسانه على نفسه وعلى الآخرين.

أيها الموفق:

كلما تقدم بك العمر، وتقدمت بك السنين، فاعلم أنك قد اقترب أجلك، فيحسن بك إحسان العمل الصالح والحرص عليه، فمن طال عمره وهو مازال موفقًا مسددًا حريصًا على الأعمال الصالحة، يزدد كل يوم أجرًا وثوابًا؛ فهذا من توفيق الله له، خلاف المحروم والمخذول يطول عمره وهو مازال في عمله السيئ، وفساده بشتى صوره وأشكاله في هذا الزمن.

قف مع هذه الآية الكريمة، وأعد قراءتها أكثر من مرة:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: 21].

والموفق من علم أن الحياة الدنيا قصيرة والآخرة خير وأبقى، واعلم علم اليقين أنها مهما طالت فهي قصيرة وحقيرة!

عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضةٍ ما سقى كافرًا منها شربة ماء**». [رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب 2320].

وتأمل في حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلُّهم من يجوز ذلك**». [رواه الترمذي، وابن ماجه].

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110].

إضاءة على الطريق:

تذكر أيها الموفق: كم ذهب من عمرك!

فاغتنم ما بقي من العمر.

***

عاشرًا: مزامير آل داود

ومن معالم التوفيق في الحياة الدنيا من رزقهم الكريم المنان بأصوات جميلة حسنة، فمنَّ عليهم ربهم بأن استعملوها وسخروها في طاعة ربهم، فقرؤوا القرآن الكريم، وعلموه ونشروه في الآفاق، في الإذاعات والفضائيات والمواقع الالكترونية.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتّل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**». [رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث صحيح].

وكذلك نشرهم لسُّنة نبيهم ﷺ، وتعليمهم لها قراءة ودراسة وشرحًا؛ وذلك لحسن وجمال أصواتهم، كل ذلك من توفيق الله لهم، ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ [الفرقان: 74].

أيها الموفق:

يستمع النبي ﷺ في ليلة من الليالي لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه وهو يتغنى ويرتل، ويتلذذ بقراءة القرآن الكريم، وكان حسن الصوت جميل الأداء، أعطاه الله هذه النعمة «جمال الصوت وعذوبته»، فسخرها في

طاعة ربه، فيشجعه صلوات ربي وسلامه عليه قائلًا: «**لقد أُوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**». [صحيح البخاري].

إنه وسام فخر وشرف وعز وتقدير من الدرجة الأولى مع مرتبة الشرف والعز والسُؤدد.

فيرد أبو موسى قائلًا: لو كنت أعلم لحبرته لك تحبيرًا.

فهنيئًا لك أبا موسى بما حباك ربك وأعطاك، وهنيئًا لكل من سار على دربك من القراء الموفقين.

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ** ﴾ [فاطر: 30].

قال ﷺ: «**إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ، رأيت أنه يخشى الله**». [صحيح الجامع 2202/1 عن جابر].

بل إن بعضهم قد رحلوا من الدنيا، مرتهنون في قبورهم، لكن بقيت آثارهم الحميدة وأصواتهم بكتاب الله ندية عطرة، تُتلى آناء الليل وأطراف النهار، فهنيئًا لهم بالحسنات والثواب الكبير من ربهم بإذن الله تعالى.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: 12].

ألا، وإن من الحسرة والندامة ما يقطع القلب، من أُعطوا نعمة الصوت الحسن الجميل، فسخروها وخسروها في أوتار وأنغام وألحان وفنون!

ألم يقرؤوا في كتاب ربهم:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: 6].

ونقول لهم: عُودوا إلى ربكم، أين إيمانكم؟ حاسبوا أنفسكم، راجعوا أعمالكم، ماذا قدمتم لأمتكم، مادام في العمر بقية، وباب التوبة مفتوح؟

وتأملوا في رحمة ربكم: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: 71].

أخي الموفق:

هذا هو طريق التوفيق، والمحروم من حرم نفسه من الخيرات والفضائل.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: 10].

إضاءة على الطريق:

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها.

أنت وليها ومولاها.

* * *

الحادي عشر: الذرية الطيبة

ومن معالم التوفيق أن يرزق العبد بذرية طيبة في حياته الدنيا، تسمع وتطيع، ذريةً يُعين بعضهم بعضًا على طاعة ربهم، يتواصون بالصبر والمرحمة، يتعاونون على أمور دنياهم، يحترمون كبيرهم ويرحمون صغيرهم، ويتفقدون قريبهم، يلتقون دائمًا في المناسبات والأفراح وعند الأزمات والملمات. إنها عائلة كبيرة مترامية الأطراف، لكنك تراهم كالجسد الواحد يجمعهم الحب والإخاء والسعادة والتعاون والتواصل والتراحم. وإذا أراد الله بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفق، إنه التوفيق! الموفق من يدعو ربه ليلًا ونهارًا بالذرية الطيبة ﴿ **هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ** ﴾ [آل عمران: 38]. وسبق أن قرأت هذه القصة اللطيفة التي تبين لنا ثمرة وبر الذرية الطيبة. في سنة مضت أراد الأب أن يحج، فتوفاه الله يوم الثالث من ذي الحجة، ولما كان يوم عرفة، التقى أولاده وجهًا لوجه بقدر الله؛ ليتبين أن كل واحد منهم قد نوى، وجاء للحج عن أبيه دون أن يخبر أحد منهم الآخر سلفًا بما عزم عليه.

فهنيئًا له بهذه الذرية المباركة!

﴿ **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا** ﴾ [نوح: 28].

بل تأمل دعاءهم وتضرعهم لربهم بصلاح ذريتهم: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: 15]. ومن عجائب ما يروى من قصص البر بالآباء ما ذكره أحد الدعاة قائلًا: تنازع أخ وأخته عند القاضي، كل منهما يريد أن تبقى أمهما المقعدة عنده، فالبنت تقول: يا شيخ، من يحملها لدورة المياه؟ فإنه لا يجوز له، فإما أن تحملها زوجه أو الخادمة، وأنا ابنتها وأحق بها، والرجل يقول: يا شيخ، أنا لا أريد أن تكون عند زوج أختي بل أريدها عندي، فحكم القاضي بأن تكون عند البنت، فغضب الابن وقال: اتق الله يا شيخ، سأخاصمك أمام الله جل وعلا، أتحرمني من أمي؟

أيها الموفق: هكذا فكن، بارك الله فيك.

إضاءة على الطريق:
وأنت ساجد بين يدي ربك العظيم،
ادع لذريتك بالهدى وتيسير الهدى لهم،
وصرف السوء والفحشاء عنهم.

الثاني عشر: الكسب الحلال

ومن علامة التوفيق في الدنيا أن يوفق العبد لكسب طيب حلال «وظيفة أو عمل أو تجارة»، وما أكثره ولله الحمد!

تأمل أيها الموفق هذا الخطاب الرباني، كيف ينسكب في قلب المؤمن؟

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: 32].

وليست العبرة بالعمل الكبير المشار إليه بالبنان، وإنما بالعمل الشريف وإن دق وصغر في أعين الناس!

فالعبرة باللقمة الحلال لا باللقمة الكبيرة الحرام؛ فهذا أشرف خلق الله، سيد ولد آدم ﷺ قد رعى الأغنام، ثم سافر وتاجر بالمال من أجل الكسب الحلال الطيب، ومن قبل ذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

فالموفق تراه يبيع أن يشتري أو يتعامل مع الخلق فيما أُسند إليه وهو مطمئن القلب من عمله، لا ريبة فيه ولا شُبهة، ينفع به نفسه وأسرته ويقدم خدمة لأمته، خير الناس أنفعهم للناس، يؤدي الأمانة ويحفظ المسئولية، يراقب المطلع عليه في كل صغيرة وكبيرة، كلما حدثته نفسه

بالتقاعس أو التواني عن الأمانة قرعها بسوط المراقبة والخشية، لسان حاله يرد عليه قائلًا: أين الله؟!

تراه بعيدًا كل البعد بحفظ الله وتوفيقه عن الحرام أو الشبهة؛ من غش وكذب واختلاس وفن ورقص وخمر وتهريب مخدرات..، إلى غير ذلك.

ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، بل ويجد بعد ذلك إيمانًا في قلبه، وسعة رزقه، وبركة في عمره، وصحة وعافية وفلاحًا وتوفيقًا.

﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ [العلق: 14].

قال ﷺ: «**لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعها فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس؛ أعطوه أو منعوه**». [عن الزبير بن العوام، رواه البخاري (انظر موقع الدرر السنية)].

وسئل الإمام أحمد (رحمه الله): بم تلين القلوب.

فماذا كان جوابه؟ هل ألقى محاضرة؟ لا!

وإنما قال: بأكل الحلال.

وكان أبو أيوب السختياني (رحمه الله) يقول: الزم سوقك؛ فإنك لا تزال كريمًا ما لم تحتج إلى أحد.

قال ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «**يا سعد، أطب مطعمك تستجب دعوتك**». [الطبراني].

لذلك لا تعجب من قول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ما رفعت لقمة إلى فمي إلا وأنا أعلم من أين مجيئها ومن أين خرجت!

الله أكبر!

أعد قراءة هذه العبارة مرة أخرى!

فكيف بحالنا اليوم؟

قوم ضيعوا الأمانة، وفرطوا في المسئولية وخانوا الأمة!

﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ** ﴾ [إبراهيم: 42].

إننا في أمس الحاجة اليوم إلى القوى الأمين، ولا يكون ذلك إلا بتوفيق الحق المبين.

القوي الأمين في الدوائر والوزارات والأمانات.

القوي الأمين في تعليمنا ومدارسنا.

القوي الأمين في تجارتنا ومحلاتنا.

القوي الأمين في كل شأن من شئون حياتنا.

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: 26].

أيها الموفق:

بأكل الحلال الطيب تلين القلوب وتسير في طريق السعادة والتوفيق.

قال إبراهيم بن أدهم (رحمه الله): ما أدرك من أدرك إلا من كان يعقل ما يدخل جوفه.

فانظر يا عبد الله، ما عملك وما كسبك وما وظيفتك وما يدخل جوفك، بل انظر الآن ما يدخل في حساباتك البنكية، فأنت أعلم بحالك، والله مطلع عليك: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [التوبة: 78].

يقول وهيب بن الورد (رحمه الله): لو قمت مقام هذه السارية – أي تصلي – ما نفعك شيء حتى تنظر ما يدخل بطنك، حلال أو حرام؟

وكما قيل: بطنك شبر في شبر، فلم يدخلك النار؟!

أيها الموفق:

يعيش المسلم فقيرًا مسكينًا يكفيه القليل من الطعام والشراب والمال والمسكن، لكنه يعيش في أمن وطمأنينة وسعادة وعزة وحياة طيبة لا يعلمها إلا الله، ولو سكن الإنسان أعظم القصور والدور ومشى في الرفاهية والرخاء وماله من الخبيث، فاعلم أنه في شقاء وخوف وقلق وضنك!

وكتب رجل إلى داود الطائي يطلب منه الموعظة فكتب إليه:

أما بعد: فارض من الدنيا باليسير من سلامة دينك، كما رضي أقوام بالكثير مع ذهاب دينهم، والسلام.

إضاءة على الطريق:

ارض بما قسم الله لك؛ لتكن أغنى الناس.

فما أعظمها من وصية نبوية!

* * *

الثالث عشر: القبول في الأرض

ومن علامة التوفيق حب الناس لك ودعاؤهم لك، يحبك الجار والقريب والبعيد، فتجد هذا يسكن في بلد، والآخر في بلد آخر في دولة أخرى، فترتفع يداه ويدعو لك بالتوفيق والسداد من شغاف قلبه كلما تذكرك أو رآك.

إن من أعظم التوفيق في الدنيا أن يضع الله لك القبول في حياتك الدنيا.

أيها الموفق:

قف بقلبك قبل عينيك وأنت تقرأ هذا الحديث النبوي وما فيه من الجمال والكمال.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله تعالى يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**». [صحيح الجامع 1704].

القبول في الأرض: معناه التوفيق لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال، أن تعيش الحياة الطيبة، حياة السعداء، عابدًا حامدًا شاكرًا

محسنًا داعيًا لله تعالى، إنه القبول والتوفيق لا يحد بحد ولا وصف! نعمة من نعم الله على عبده الموفق.

القبول في الأرض: أن تهتف قلوب المسلمين والمحبين داعية لك بالتوفيق والسداد والرشاد.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [مريم: 96]. قال قتادة (رحمه الله): ما أقبل عبد إلى الله، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتى يرزقه مودتهم. وقال مجاهد (رحمه الله): يحبهم ويحببهم إلى خلقه.

عن أبي الدرداء ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل**». [رواه مسلم]. هل تعرف معنى ولك بمثل، أي: أعطاك الله بمثل ما دعوت لأخيك بظهر الغيب من خيري الدنيا والآخرة.

ومن يفعل ذلك غير الموفقين، أصحاب القلوب الطاهرة من الغل والحسد، ينفعون أنفسهم وإخوانهم، وما ذاك إلا لسلامة وصفاء قلوبهم وصدورهم! ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [الشعراء: 84].

قال الإمام ابن القيم (رحمه الله): ما أعظم الفرق بين من نام وأعين الناس ساهرة تدعو له، وبين من نام وأعين الناس ساهرة تدعو عليه!

ثم اعلم وفقني الله وإياك على طريق التوفيق أن من أعظم أسباب القبول في الأرض والسماء الإخلاص، فهل سمعت بالإخلاص؟

إنه سر القبول عند الله الكريم المنان ثم عند خلقه.

أيها السائر على طريق التوفيق:

ادع ربك ليلًا ونهارًا، وتحرَّى أوقات الإجابة والأماكن الفاضلة المباركة كالحرمين الشريفين، واسجد وتضرع، ومرَّغ جبينك، وانكسر بين يدي ربك، وقل: يا رب، أسألك الإخلاص في القول والعمل.

فالإخلاص عزيز المنال، لا ينال إلا بإيمان وتوفيق وعمل صالح وجهد وجهاد وصبر ومصابرة ومرابطة واتباع وبذل وتضحية وتقوى.

فهل عرفت الطريق إلى التوفيق؟

فهنيئًا للمخلصين المقبولين الموفقين.

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: 5].

إضاءة على الطريق:

يقول ابن حبان: أفضل ذوي العقول منزلة أدومهم لنفسه محاسبة.

* * *

الرابع عشر: دعاة الفضيلة

ومن معالم التوفيق مشاهدة القنوات الفضائية الهادفة المحافظة التي تدلك على الخير، والتي تنشر الفضيلة، وتحارب الرذيلة، وتغرس القيم والأخلاق والفضائل في قلوب مشاهديها قبل أعينهم.

أنهم دعاة الفضيلة والهدى والنور، في زمن يكاد أن ينتحر فيه العفاف والطهر، بذلوا أموالهم وأوقاتهم في سبيل من؟!

من أجل تبصير الناس بدينهم، وليعبدوا ربهم على بصيرة:

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: 55].

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**». [مسلم 6804].

والموفق حقا من كان مفتاحا وسببا لكل خير.

فبارك الله في مساعيكم وجهودكم.

﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا ﴾ [الإسراء: 36].

ويا حسرتي على من ضلَّ الطريق وخُذل، وكان من أعوان الشيطان، يهدم ولا يبني، ينشر الرذيلة ويحميها ويدافع عنها ويدعمها، ويدعو لها من خلال الفضائيات والحوارات والصحف وغيرها، ضل سعيه وعمله وهو يظن أنه يُحسنُ صنعا، وهذا هو طريق الخذلان!

﴿ لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل: 25].

قلمٌ مسموم، وفكر منكوس، وتبرج وعُري، ودعوى آثمة وشهوات وشبهات وروايات، يراها ويسمعها القريب والبعيد، لماذا كل هذا؟!

هل ضاق عليكم باب الحلال، فطرقتم أبواب الحرام؟!

ألم تسمعوا بقول الجبار القهار:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور: 19].

قال العلامة ابن سعدي (رحمه الله): أي: يحب أن تشتهر الفاحشة؛ وذلك لغشه المسلمين، ومحبة الشر لهم، وجراءته على أعراضهم، فإذا كان هذا الوعيد لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة، واستحلاء ذلك بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك من إظهاره ونقله؟ [تفسير السعدي].

وأنت اليوم تنظر وتسمع ما يُعرض على الشاشات والجوالات والفضائيات على الهواء مباشرة، فاحذر من دعاة الرذيلة ولصوص الأعراض!

ويلفت النظر الشيخ علي الطنطاوي (رحمه الله) إلى هذا المعلم بقوله:

من عجائب حكمة الله أنه جعل مع الفضيلة ثوابها: الصحة والنشاط، وجعل مع الرذيلة عقابها: الانحطاط والمرض. ا.هـ!

إضاءة على الطريق:
طريق الفضيلة: عز وشموخ وأجر وثواب.
طريق الرذيلة: عار وذل وخزي وعقاب.

* * *

الخامس عشر: الزوجة الصالحة

ومن معالم التوفيق والسعادة في الحياة الدنيا أن يوفقك الله لزوجة صالحة، تعينك على أمر دينك ودنياك، رفيقة دربك، ذات خُلق كريم، تسُرُه إذا نظر إليها، وتحفظه في نفسها وماله وذريته، محسنةٌ في تربية أبنائها. فالمرأة في هذا الزمن هي الحِصن الحصين للأسرة المسلمة إذا وفقها ربُها لحماية بيتها.

والمرأة الموفقة تعين زوجها وأبناءها على فعل الفضائل والطاعات وترك المنكرات والزلات.

في زمن يحاولون تكسير الحواجز والجسور من أجل إخراجها من حصنها الحصين! فلتعرف الموفقة ما يُدار حولها.

إن المرأة الموفقة هي التي تملأ بيتها حُبًّا ورحمة ومودة وسعادة وصفاء وأُنسًا وسكنًا سعيدًا، كأنه جنة من جنان الدنيا، ولا ينال ذلك إلا موفق سعيد.

قال رسول الله ﷺ: «**أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء**». [صحيح الجامع (887) عن سعد].

وصدق الله: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: 21].

لذلك قالوا: إن ثلاثية الزواج الناجح الموفق السعيد يرتكز على أمور ثلاثة:

1- السكن **2- المودة** **3- الرحمة**

فبيوت الموفقين تملؤها المودة والرحمة والسكن والرفق والاحترام والتقدير والتوفيق لكل خير، وقيام ذلك كله بفضل الله أولًا، ثم بذلك القلب الذي ينبض في تلك الزوجة، التي تستطيع أن تجعل من بيتها الصغير قصرًا من السعادة والحب والحنان والعطاء.

يقول الشيخ راشد الشهري وفقه الله:

الزوجة الصالحة مؤدية لحقوق ربها، متحببة لزوجها، محتسبة في تربية أولادها، حافظة لأسرار بيتها، تملأ البيت فرحًا وسرورًا، وتتطلع إلى ثواب خالقها.

وصدق رسولنا الكريم الله ﷺ حين قال: «**قلب صادق، ولسان ذاكر، وزوجة صالحة تعينك على أمر دنياك ودينك، خير ما اكتنز الناس**». [صحيح الجامع 4409].

والموفق دائما قد غرس في قلبه بيقين وصدق وحب ووفاء قول رسولنا ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**». رواه ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وهو القائل ﷺ: «**دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك**». [عن أبي هريرة صحيح الجامع (3398)].

الزوجة الموفقة قدوتها في حياتها: الطاهرة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)، أول قلب احتضن نبينا ﷺ حبًا وبرًا وعطاءً.

عاشت معه الأمل والألم، منذ فجر الرسالة المحمدية، تؤيده وتعينه وتنصره بكل معاني النصر والتأييد. فماذا كان جزاء تلك الطاهرة؟

جاء في الحديث الصحيح: «**وبشّرها ببيت في الجنّة من قصب – أي اللؤلؤ المجوف – لا صخب فيه ولا نصب**». [البخاري ومسلم].

قال السهيلي (رحمه الله): إنما بشرها ببيت في الجنة؛ لأنها لم ترفع صوتها على النبي ﷺ، ولم تتعبه يومًا من الدهر، فلم تصخب عليه يومًا، ولا آذته أبدًا. ا.هـ.

والجزاء من جنس العمل، هكذا فلتكن النساء، بل تأمل هذا الموقف النبوي بمشاعرك وعواطفك.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرتُ على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة وإني لم أُدركها، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة، قالت: فأغضبته يوما فقلت: خديجة، فقال رسول الله ﷺ: «**إني قد رُزقت حبّها**». [رواه مسلم].

وتأمل معي هذا الموقف الذي يعبر عن الحب والوفاء لما ماتت امرأة أبي ربيعة الفقيه، دفنها ونفض يديه، ثم رجع إلى داره، فحوقل واسترجع، وبكت عيناه! ثم قال يخاطب نفسه: الآن ماتت الدار أيضا يا أبا خالد.

نعم: إن البيت يحيا بروح المرأة التي تتحرك بداخله، وتشيع فيه معنى لا يقدر عليه غيرها.

إضاءة على الطريق:

بيتك بيتك بيتك.

أيتها الموفقة هو سعادتك، بل هو جنتك في الدنيا.

* * *

السادس عشر: مفتاح العلم

ومن معالم التوفيق قراءتك ومطالعتك في الكتب النافعة في بيتك، وأينما ذهبت وجلست وسافرت، فهي لا تفارقك أبدًا، ولا تخجل من حملها والقراءة فيها أمام الناس، في مطار أو مستشفى أو في أماكن الانتظار، أو حتى في وسط بيتك، فاعلم أنك على خير عظيم.

وإن الجهل الحقيقي هو أن تبقى بدون فائدة ولا رصيد ولا ثقافة!

أعزُّ مكانٍ في الدُّنَا سرجُ سابح وخيرُ جليسٍ في الزمان كتابُ

قال بعض الحكماء:

«ليست الساعة الذهبية التي تحملها في يدك، بل هي الساعة التي تعمل فيها شيئًا مفيدًا».

والموفق من يذهب إلى المكتبة لشراء بعض الكتب والرسائل في الشهر مرة واحدة، يقرؤها ويتأملها ويستفيد منها، سيجد بعد زمن أنه قد كون مكتبة له ولأسرته، ففي صحبة الكتاب النافع الخير الكثير الذي لا يُحصى.

ومع الأسف نقولها – وبكل ألم – إننا ننفق في كل شيء من حوائج الدنيا والكماليات التي ابتلينا بها في هذا الزمن، ونبخل على أنفسنا بكتاب قيمته عشرون أو ثلاثون ريالًا، يبقى معك إلى أن ترحل من الدنيا، ويبقى بعد ذلك لورثتك من بعدك.

فيا سعادة من سارع واغتنم صحته وفراغه في طاعة ربه إلى أن يلقاه جل وعلا ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99].

يقول الشيخ عائض القرني حفظه الله:

إنها القراءة؛ مفتاح العلم والمعارف، بها يعرف العبد ربه، وبها ينشط للعبادة، وبها يلبس أجمل الحُلل والفضائل، وبها يتخلق بالأخلاق النبيلة، وبها يُحفظ من الفتن والمحن والبلايا. ا.هـ.

كيف تريد أن تتقدم وتتغير وتتطور وتنطلق وأنت لا تفتح كتابًا؟! تمضي وتقضي الساعات الطوال، أمام الشاشات والقنوات والجلسات في الاستراحات، منذ سنوات طوال لم يتغير بعض الناس، كما عرفتهم قبل عشرين سنة، لماذا؟

لأنهم بعيدون كل البعد عن القراءة والبحث والاطلاع والجد والاجتهاد! إنها إجابة موجعة قليلًا، لكنها الحقيقة المرة.

يقول الشيخ سامي الماجد وفقه الله: إن القراءة معيار لدرجة كل أُمة من التحضر، فإذا أردت أن ترى منزلة أُمة من الأمم من الحضارة، وتقيس حظها من الثقافة، فانظر إلى منزلة القراءة فيها، وموضعها من سلم اهتماماتها.

وإليك هذه الفائدة التي تكشف لك مدى مستواك العلمي في القراءة.

يقول الدكتور عبد الكريم بكار وفقه الله: الحد الأدنى لاكتساب المعرفة هو قراءة كتاب واحد في الشهر. ا.هـ.

فكيف أنت مع القراءة؟

أيها الموفق:

استعن بالله ولا تعجز، وحاول وثابر، وتعلم كيف تقرأ، وادع ربك ليلًا ونهارًا قائلًا: ربِّ زدني علمًا.

﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: 114].

والموفق من وفقه ربه لذلك والمحروم من حُرم لذة التعلم والتعليم!

إضاءة على الطريق:

ألف الشيخ عبد الحميد كشك: 115 مؤلفًا وهو أعمى أملاها إملاءًا!

فماذا قرأت وكتبت وأنت مُبصر معافى؟

أجب بصراحة!

* * *

السابع عشر: عمرك الذهبي

من معالم التوفيق المحافظة على وقتك الذي هو عمرك الذهبي الحقيقي. والموفق دائمًا يسأل نفسه عن وقته ويحاسبها عليه: ماذا عملت فيه من خير لنفسي ولأهلي ولأمتي؟!

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: 3].

ويذكر الإمام ابن كثير عن الإمام الحجاج المزني: سمعته يقول على المنبر: إن امرأ ذهبت ساعة من عمره في غير ما خُلق له، فحري أن تطول عليه حسرته يوم القيامة.

إنه العمر، أنفس الجواهر، وأعلى اللآليء، الكنز الذي لا نعرفه في هذا الزمن الذي كثُر قاتلوه كما يزعمون إلا من رحم بك.

فكيف نقول عمن يُضيع الساعات، بل الأيام، بل الشهور والسنين بلا فائدة ولا عمل يذكر.

إنها الحسرة والندامة وحرمان التوفيق!

يوم يقول ويصرخ قائلًا: ﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفجر: 24].

تأمل أيها الموفق لنداء رسولك ﷺ حين قال: «**اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**». [حديث صحيح رواه الحاكم].

ويقول أبو حامد الغزالي (رحمه الله): إذا أحب الله عبدًا استعمله في الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال، وإذا مقته استعمله في الأوقات الفاضلة بسيئ الأعمال؛ ليكون ذلك أوجع في عتابه وأشد لمقته.

يقول الشاعر الحكيم:

واحسرتاه! تقضي العمر وانصرمت ... ساعاته بين ذلِّ العزِّ والكسل

والقوم قد أخذوا درب النجاة وقد ... ساروا إلى المطلب الأعلى على مَهَل

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، الفراغ**». [رواه البخاري].

يقول مصطفى الرافعي (رحمه الله): إن يومًا باقيًا من العمر هو للمؤمن لا ينبغي أن يُستهان به.

تأمل في قول ربنا: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا** ﴾ [الفرقان: 62].

قال ابن كثير (رحمه الله): أي: جعلهما يتعاقبان توقيتًا لعبادة عباده له ﷻ، فمن فاته عمل في الليل استدركه في النهار، ومن فاته عمل في النهار استدركه في الليل.

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: 2].

ليبلوكم: ابتلاء واختبار، ماذا قدمنا في أعمارنا من أعمال في حياتنا الدنيا؟

يقول د. أحمد الأميري في كتابه «فن التفوق والنجاح»: إن الفرد الذي لا يُحسن الاستفادة من وقته، لا يُحسن الاستفادة من حياته وعمره، فكيف يمكن أن يكون في الحياة شيئًا مذكورا؟ وإن أول خطوة تخطوها الأمة نحو السيادة والريادة، لا تتم قبل أن يتعلم أبناؤها كيف يحسنون الاستفادة من أوقاتهم.

إضاءة على الطريق:

سأل سائل ابن الجوزي: أيجوز أن أفسِّح نفسي في مباح الملاهي؟

فقال له: عند نفسك من الغفلة ما يكفيها!

الثامن عشر: بذكره تطمئن القلوب

ومن معالم التوفيق لعبده دوام ذكره على كل حال قائمًا وقاعدًا وعلى جنبك، وفي سفرك وإقامتك، وفي كل مكان وزمان، وفي كل شأن من شؤون حياته: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران: 191].

وقال القائل سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: 42].

فالذكر سلاح المؤمن، وهو مفتاح التوفيق والخيرات والبركات، وكاشف الكربات والملمات، وهو قُوت القلوب والأرواح، به يطمئن الفؤاد، وتسعد النفس، وتكثر الحسنات، وتُكفر السيئات، فيا لها من غنيمة!

وتدبر أيها الموفق في قوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: 152].

يقول ابن القيم (رحمه الله): لو لم يكن في فضائل الذكر غير هذه لكفتنا فضلًا وشرفًا وفاضت علينا، ذكره لنا برحمته وفضله، ذكره لنا

بتأييده ونصره، ذكره لنا بمغفرته وستره، ذكره لنا بتوفيقه وبره، ذكره لنا واحدًا واحدًا بأسمائنا في الملأ الأعلى. ا.هـ. بتصرف.

ورحم الله من قال: لا تطيب الدنيا إلا بذكره، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوه، ولا تطيب الجنة إلا برؤيته جل جلاله، ولا يوفق لهذا إلا الموفق المسدد.

الموفق هو من يملأُ صحائفه ليلًا ونهارًا من ذكره جل وعلا.

إنها عبادة من أجلّ العبادات وأيسرها، فأين المشمرون؟

تأمل معي يا رعاك الله:

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقيت إبراهيم ليلة أُسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أُمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، وعذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**». [رواه الترمذي (3462) وحسنه الألباني].

أيها الموفق:

أملأ صحائفك بالباقيات الصالحات، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر من الباقيات الصالحات**». [السلسلة الصحيحة (3264)].

قال ابن عباس ﷺ: الذاكر كثيرًا من يذكر الله في قيامه وفي قعوده وفي حله وترحاله وفي صحته ومرضه: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35].

خرج النبي ﷺ من عند زوجه جويرية بنت الحارث (رضي الله عنها) حين صلّى الصبح وهي في مسجد بيتها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فيه فقال: «**مازلت على الحال التي فارقتك عليها؟**» قالت: نعم. فقال ﷺ: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وُزنت بما قلت، لوزنتهنَّ: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**». [أخرجه مسلم].

وصدق الله إذ يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28].

أيها الموفق، أعد قراءة الآية الكريمة متأملًا لها، حرِّك بها قلبك، أشغل وقتك بذكره.

قال الإمام النووي (رحمه الله): اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتحميد والتكبير، بل كل عامل لله تعالى بطاعة فهو ذاكر لله تعالى. ا.هـ.

فاغرس – أيها الموفق – لنفسك في مزرعة الدنيا هنا؛ لتحصد ما غرست هناك في الآخرة سعادة وعزة وكرامة وأجرًا؛ فإن السبق هناك على قدر التزيد من الفضائل في الدنيا.

إضاءة على الطريق:

لا إله إلا الله كلمة التوحيد، مفتاح الجنة

هي: أفضل ما يذكر به الذاكرون.

* * *

التاسع عشر: كن مفتاحًا للخير

ومن معالم التوفيق من وفقهم الله وأعاناهم إلى المشاركة والعمل في ميادين الدعوة إلى الله، أو جمعيات تحفيظ القرآن الكريم، أو التعريف بالسنة النبوية أو مؤسسات البر والإحسان، وما أكثرها في هذه البلاد الطيبة!

يُعلِّمون ويرتبون وينظمون، ويضعون الخطط والبرامج والدورات المختلفة، بل ويبذلون الجهد هنا وهناك، فكم من خيرٍ فتحه الله على أيديهم!

تأمل معي – وفقك الله – إلى هذا الموفق الذي أصبح مفتاحًا للخير:

عن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من الناس مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر، مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه**». [السلسلة الصحيحة 1332].

يقول محمد السندي (رحمه الله) شارح سنن ابن ماجه: أي أن الله أجرى على أيديهم فتح أبواب الخير كالعلم والصلاح على الناس، حتى كأنه ملَّكهم مفاتيح الخير ووضعها في أيديهم ولذلك قال: جعل الله مفاتيح الخير على يديه.

كم من مشاريع كبرى نُفِّذت وانطلقت واستفاد منها العباد والبلاد، كانت بدايتها فكرة، حملها رجال على عواتقهم حتى أصبحت في واقعنا حقيقة، فهنيئا لهم الأجر والثواب والتوفيق.

عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**». [مسلم 4899].

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 84].

كل إنسان يعمل على حسب جوهر نفسه، فإن كانت نفسه شريفة طاهرة، صدرت عنه أفعال جميلة وأخلاق زكية طاهرة، وإن كانت كدرة خبيثة صدرت عنه أفعال خبيثة. ا.هـ. تفسير الخازن.

أيها السائر على طريق التوفيق:

إن من أعظم التوفيق بعد طاعة الله ﷻ، التوفيق لقضاء حوائج الناس، والسعي في مصالحهم، وبذل المعروف لهم من الكلمة الطيبة والنصيحة والمال والبر والإحسان، وخير الناس أنفعهم للناس كما قال الصادق المصدوق.

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114].

فيا له من أجر عظيم من رب كريم، لمن صلحت نيته، وصدقت سريرته، فطوبى للموفقين.

إضاءة على الطريق:
الدال على الخير كفاعله.
فماذا تريد بعد ذلك؟

* * *

العشرون: الإمامة والآذان

ومن معالم التوفيق للطاعة من وفقهم الباري جل في علاه بإمامة للمصلين سنوات عديدة؛ من أداء للمسئولية، وقيام بواجب المسجد ودعوة وإرشاد وخطابة، وتوعية للناس امتدت عند بعضهم إلى قرابة الأربعين والخمسين عامًا، فهنيئا لهم بالأجر والثواب إن صلحت النيات بإذن الله تعالى.

قال ﷺ: «**ثلاثة على كثبان المسك لا يهولهم الفزع الأكبر يوم القيامة: رجل أمّ قوماً وهم له راضون**». [صحيح: رواه الترمذي، انظر صلاح الأمة للعفاني (1)].

وفي الحديث: «.... **أن له من الأجر مثل أجر من صلَّى معه**».

فالإمام الموفق هو الذي عندما يكبّر رافعًا يديه؛ الله أكبر، يستشعر هذه المعاني الجليلة، فكم له من الأجر والثواب العظيم.

وقل في هذا الشأن المبارك كذلك من يرفع صوت الحق خمس مرات في اليوم والليلة، ينادي بنداء التوحيد أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، ترك نومه وراحته وأعماله وبادر إلى المسجد، فكان أول من يدخل إلى بيت الله محبًا لهذا النداء الرباني.

لـذلك لا عجـب أن يقـول عـنهم رسـول الهـدى ﷺ كمـا في حـديث معاويـة ﷺ: «**المؤذنـون أطـول النـاس أعناقًـا يـوم القيامـة**». [رواه مسلم].

بل تأمل في هذه الأجور الكبيرة العظيمة:

قال رسول الله ﷺ: «**والمؤذن يغفر له مدَّ صوته، وأجره مثلُ أجر من صلَّى معه**». [صحيح الجامع 6643 عن أبي أمامة].

وقال ﷺ: «**من أذَّن ثنتي عشرة سنةً وجبت له الجنة، وكُتب له بتأذينه في كل يوم ستون حسنة، وبإقامته ثلاثون حسنة**». [صحيح الجامع 6002 عن ابن عمر].

ثم نجد بعد ذلك مع الأسف في هذا الزمن من يزهد من شبابنا في رفع الآذان وتولي أمره والحرص عليه، بل سمعنا من بعض المؤذنين من مات في المسجد وأثناء الأذان، فهنيئًا لهم حسن الختام: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74].

يقول الإمام القرطبي (رحمه الله): الأذان على قلة ألفاظه مشتمل على مسائل العقيدة؛ لأنه بدأ بالأكبرية، وهي تتضمن وجود الله وكماله، ثم ثني بالتوحيد ونفي الشريك، ثم بإثبات الرسالة لمحمد ﷺ، ثم دعا إلى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة؛ لأنها لا تعرف إلا من

جهة الرسول ﷺ، ثم دعا إلى الفلاح، وهو البقاء الدائم، وفيه الإشارة إلى المعاد، ثم أعاد ما أعاد توكيدا. [فتح الباري – كتاب الأذان 92/2].

فأي شرفٍ بعد هذا؟ وأي عز ووسام بعد هذا؟ فليفرح الموفقون بما وفقهم الله له.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن، اللهم أرشد الأئمة، واغفر للمؤذنين**». [أخرجه الترمذي، وابن خزيمة، وأحمد وابن حبان، انظر مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود].

فهنيئًا لكم دعوة سيد ولد آدم بالرشاد والمغفرة، جزاء ما بذلتم وصبرتم، وحرصتم على أداء المسئولية، وحفظ الأمانة، فكان لكم من الله حسن الثواب. ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللّهِ وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: 198].

ألا، وإن من كرم الله جل وعلا وتوفيقه من وفق لرفع الأذان في المسجد الحرام أو المسجد النبوي أو المسجد الأقصى، وكذلك الإمامة والخطابة فيها؛ لما لها من الفضل والمكانة والرفعة في شريعتنا وفي قلوبنا.

هذه المساجد المطهرة التي بناها الأنبياء:

فالمسجد الحرام: بناه إبراهيم الخليل عليه السلام،

والمسجد النبوي: بناه محمد صلى الله عليه وسلم،

والمسجد الأقصى: بناه يعقوب عليه السلام.

واختم بهذه البشارة العظيمة:

قال ﷺ: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي؛ فإنه من صلى علي صلاةً صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت عليه الشفاعة**». [صحيح الجامع 613/1 عن ابن عمرو].

> **إضاءة على الطريق:**
>
> تذكر: ما منّ الله به عليك من إمامة أو أذان،
>
> فاحمد الله وكن من الشاكرين،
>
> واسأله الإخلاص والتوفيق، وأداء المسئولية.

* * *

الحادي والعشرون: نعم الله لا تحصى

ومن معالم التوفيق للعبد حفظه لنعمة الله عليه الظاهرة والباطنة وما أكثرها على هذا الإنسان! ألم يقل ربنا: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: 34].

فتراه يسخر كل ما يملك من قليل أو كثير؛ منصبه، أمواله، علاقاته الاجتماعية، بيته، سيارته، استراحته، عقاره، بل حتى جواله، يستخدمها كلها في مرضاة الله تعالى، لسان حالهم يقول: اللهم ما رزقتنا في حياتنا الدنيا، اللهم اجعلها في طاعتك ومرضاتك.

أخي على طريق التوفيق:

لا تعجب مما قلت لك، فهذا طريق من وفقهم الله، وأكرمهم الله وأسعدهم الله في دنياهم قبل أُخراهم، يعرف نعمة الله عليه حتى في اللقمة الصغيرة التي بين يديه، يعرف أنها من فضل الله وكرمه عليه.

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليه**». [رواه مسلم].

فكن أيها الموفق شاكرًا حامدًا مثنيًا على ربك في كل لحظة من لحظات حياتك. ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: 66].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي (رحمه الله): الشاكرون أطيب الناس نفوسًا وأشرحهم صدورًا وأقرهم عيونًا؛ فإن قلوبهم ملآنة من حمد الله والاعتراف بنعمه، والاغتباط بكرمه، والابتهاج بإحسانه، وألسنتهم رطبة في كل وقت بشكره وذكره، وذلك أساس الحياة الطيبة. ا.هـ.

يقول شقيق بن إبراهيم (رحمه الله) في تفسير «الحمد لله» قال: هو على ثلاثة أوجه:

أولها: إذا أعطاك الله شيئًا تعرف من أعطاك.

الثاني: أن ترضى بما أعطاك.

الثالث: مادامت قوته في جسدك ألا تعصيه، فهذه شرائط الحمد. [انظر تفسير الإمام القرطبي رحمه الله].

ويقول الدكتور خالد أبو شادي وفقه الله: إذا ميزك الله عن غيرك بنعمة من النعم، فاعلم أن لها عند الله تبعة، فلا نعمة بغير ثمن، والثمن هنا هو مزيد الشكر لا مزيد الكفر، والاستزادة من الطاعات لا من السيئات، فاستح من الله أن يقدمك اليوم بمال أو جاه أو عيال أو راحة بال، ثم لا تقدمه وتؤثر عليه غيره.

كما في رسالة له بعنوان: المهاجر من هجر ما نهى الله عنه.

ألا وإن من المحرومين من التوفيق من أكلوا وشربوا ولبسوا وسافروا وأنفقوا في شهواتهم ومعاصيهم، فكانت هذه النعمة وبالًا عليهم:

﴿ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: 77].

الثاني والعشرون: التفكر في مخلوقات الله عز وجل

ومن معالم التوفيق والتي تكاد أن تكون غريبة في هذا الزمن الذي نعيش فيه، غريبة عندما يُتحدث عنها ويُرغب فيها، غريبة في عصر التقنية، وهي التفكر في عظمة مخلوقاته جل في علاه؛ السماء والأرض والنجوم والبحار، والليل والنهار وغيرها كثير التي نراها يوميًا، لكن من يتفكر حق التفكر!

التفكر الذي يقودك إلى الخشوع والإخبات والتوفيق للعمل الصالح:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [القصص: 72].

كم هي الآيات التي تمر بنا في كتاب ربنا تخاطب عقولنا:

- أفلا تتفكرون
- أفلا يتدبرون
- أفلا تعقلون
- أفلا تذكرون
- أفلا تبصرون
- أفلا ينظرون

﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا

﴿فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان: 11].

في عصر الغفلة والمادة الذي نعيشه مع الأسف، انظر وتأمل في أحوالنا واحكم على نفسك! تجد الإنسان يسعى السعي الحثيث وراء متطلبات الحياة المادية التي فتحت أبوابها من كل مكان!

وفي زحمة الحياة الدنيا تقل الفرص واللحظات الإيمانية التي تتيح للإنسان المسلم إعمال عقله وفكره في ملكوت الله وعظمة مخلوقاته التي تحيط به من كل جانب.

أيها الموفق:

في حديث بدء الوحي أنه عليه الصلاة والسلام حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه، وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود مثلها.

إن هذه الخلوة تزيد الإيمان، وتُعرفك بالرحمن، وفيها من الأسرار ما الله به عليم.

قال بعض السلف:

لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت.

عن عبد الأعلى بن زياد الأسلمي قال: رأيت داودًا الطائي يومًا قائمًا على شاطئ الفرات، مبهوتًا، فقلت: يا أبا سليمان ما يوقفك هنا؟

قال: انظر إلى الفلك، كيف تجري في البحر مسخراتٍ بأمر الله تعالى.

ويقول الإمام ابن الجوزي (رحمه الله) عرض لي في طريق الحج خوف من العرب، فسرنا على طريق خيبر، فرأيت من الجبال الهائلة والطرق العجيبة ما أذهلني، وزادت عظمة الخالق ﷻ في صدري، فصار يعرِضُ لي عند ذكر تلك الطرق نوع تعظيم لا أجده عند ذكر غيرها. ا.هـ.

هكذا تكون ثمرة التفكر في خلق الله، وهي تعظيم الله في قلوبنا، كم جلسنا عند البحر! وكم سرنا في الطرقات بين الأودية والجبال! وكم نظرنا في السماء! فهل زاد ذلك في إيماننا شيئًا؟!

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: 20].

تأمل في هذه الآيات البينات التي تدعوك للتفكر والتأمل:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 191].

ترى البعض يعجب ويتأمل، ويتكلم هنا وهناك من صنع طائرة أو بناء برج أو آلة وجهاز ما، بل قد ينظر إلى جواله الذي يحمله معه ويتأمل كيف صُنع، وأدخلت فيه هذه الخدمات، وتعجب عندما يغفل عن التفكر في نفسه، وما أودع فيها بارئها من لحم ودم وعصب ومخ، بل تأمل في جارحة واحدة وهي عينك، كم فيها من بديع صنعه جل جلاله! لو أُعطيت بها الدنيا لما تنازلت عنها!

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: 21].

يقول ابن تيمية (رحمه الله): ولابد للعبد من أوقات ينفرد بها نفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكره وحاسبة نفسه وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيه غيره.

ويقول الشيخ عائض القرني – وفقه الله – في كتابه «العظمة»: أعظم ما يزيد في إيمان العبد بربه ويقينه بمولاه التفكر في آياته ومخلوقاته، وهذه طريقة القرآن في عرض المشاهد الكونية من سماء وأرض وجبال وأشجار وماء وهواء ونحو ذلك.

أيها السائر على طريق التوفيق:

يقول رسولنا الكريم ﷺ: «**إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطَّتِ السماء وحق لها أن تئطَّ، ما فيها موضع أربع أصابع، إلا وملك واضع جبهته لله تعالى ساجدًا، والله لو تعلمون**

ما أعلم، لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصُّعدات تجأرون إلى الله». [عن أبي ذر ﷺ، أحمد والترمذي].

أيها الموفق:

من الآن أخلُ بنفسك في مسجدك؛ في المسجد الحرام، في المسجد النبوي، في البر أو على البحر، بل حتى في بيتك، ولو لبضع دقائق معدودات، وتفكر و تأمل وانظر!

حينها سترى ماذا سيحدث في قلبك من أثر وإيمان وتعظيم لله رب العالمين.

إضاءة على الطريق:
لا تكن تقنية اليوم وحضارتها
عائق لك من التفكر والتأمل
في ملكوت السموات والأرض!

***

الثالث والعشرون: الدعوة إلى الله تعالى

ومن معالم التوفيق الدعوة إلى الله تعالى بشتى صورها وأشكالها حسب القدرة والاستطاعة، فالدعوة إلى الله علم ونور وهدى وصدق وإخلاص وصبر ومصابرة ومجاهدة وتوفيق من الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33].

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**بلغوا عني ولو آية**» [رواه البخاري 3461].

ورحم الله من قال:

بلغوا: بلاغ ورسالة.

عني: تشريف وتكريم.

ولو آية: على قدر الوسع والطاقة.

فماذا قدمت لدينك؟

أيها الموفق:

الساحة والميدان، بل والفضاء اليوم يتسع للجميع، وفضل الله يكفي الجميع، نحتاج للدرس العلمي التأصيلي، وللمحاضرة العلمية العامة، والخطبة المؤثرة، والموعظة الحسنة، والتدريب المتميز، والكتاب القيم،

والرسالة الهادفة، والمطوية النافعة، والشريط البديع، والموقع المتألف، والجريدة المتجددة، والقناة المنضبطة، والكل يسد ثغرة، ويقدم عملًا لدينه، والقافلة تسير، والسعيد الموفق من وفقه الكريم لخدمة ونصرة دينه.

عن معاذ بن جبل ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من علَّم علمًا فله أجرُ من عمل به لا ينقصُ من أجر العامل**». [رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني في الترغيب والترهيب 80].

يقول الشيخ عائض القرني وفقه الله: الداعية كالمجاهد في سبيل الله، فكما أن ذاك على ثغر من الثغور، فهذا على ثغر من الثغور، وكما أن المجاهد يقاتل أعداء الله، فهذا يقاتل أعداء الله من الذين يريدون تسيير الشهوات والشبهات وإغواء الجيل وانحطاط الأمة، وإيقاعها في حمأة الرذيلة ﴿**وَاللهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: 27].

وتأمل في هذه الدمعة الغالية من هذا الشيخ الجليل عبد الرحمن السميط – حفظه الله – وهو يقول: أكثر ما يدفعني للبكاء عندما أقابل بعض الذين دخلوا الإسلام وهم يبكون على آبائهم الذين ماتوا على غير الإسلام، ويصرخون فينا: أين كنتم يا مسلمون؟!

أيها الموفق:

إننا بحاجة إلى الإنسان الذي يحمل هم هذا الدين!

الإنسان الذي يتساءل دائمًا: ماذا أقدم لخدمة ديني؟

ما هو دوري؟ وما هو واجبي؟

لا يبقى متفرجًا فقط!

ينطلق من موقعه حيث كان:

من وظيفتك، من تجارتك، من علاقاتك، من مواهبك وطاقاتك التي من الله بها عليك.

- أين أساتذة الجامعات؟ أين دورهم في مجتمعاتهم؟
- أين كتاباتهم في الصحف والمجلات والمقالات؟
- أين أثرهم في الإعلام اليوم؟

أيها الموفق:

الدعوة إلى الله تزيد في الإيمان، وتجمع الكلمة، وتوحد الصف، وتشحذ الهمة، وتثبت اليقين، وتنير الطريق، وتفتح الأمل، وتذكر الخلق، وترسخ الأمن، والواقع يشهد بذلك ويصدقه! فما هو نصيبك أيها الموفق من ميراث النبوة؟ ماذا قدمت لدينك؟

ما الهم الذي تحمله؟

إن ديننا يحتاج إلى كل لسان وإلى كل ساعد، أن يبين عظمته ويجلي سماحته ويذب عنه!

يجب أن نعرف جميعًا أن هذا الدين مسئولية الجميع، فأين أنت؟ وهل من مشمر؟! وأين موقعك فنحن في انتظارك أيها الموفق؟

إضاءة على الطريق:

على غير ملة الإسلام

يبذلون ويقدمون ويسافرون

من أجل عقيدتهم

فماذا قدمت لعقيدتك ودينك؟

الرابع والعشرون: أترك أثرا قبل الرحيل

ومن معالم التوفيق من ترك أثرًا طيبًا مباركًا بعد رحيله من هذه الحياة الدنيا، يذكر به ويُترحم عليه، ويكتب له الأجر والثواب بمنه وكرمه.

﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ [غافر: 39].

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**أعذر الله إلى امرئ أخَّر أجله حتى بلغ ستين سنة**». [رواه البخاري].

قال العلماء: معناه: لم يترك له عذرًا إذ أمهله هذه المدة.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال ﷺ: «**سبعٌ يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته، من علَّم علمًا، أو أجرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو ورَّث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته**». [صحيح الجامع (890)].

والموفق من عمل ولو بواحدة من هذه السبعة، لا تمر عليه هذه الكنوز والأجور العظيمة مرور الكرام، بل يحاول ويجاهد تطبيقها في ميدان الحياة والعمل.

قال السعدي (رحمه الله): رحم الله من أعان على نشر الدين ولو بكلمة، فاحرص – أيها الموفق – أن يكون لك أثر في دنياك، ترى نفعه في الدنيا والآخرة، ورحم الله التابعي خالد بن معدان الذي كان

يقول: إذا فتح لأحدكم باب خير، فليسرع إليه؛ فإنه لا يدري متى يُغلق عنه.

ورحم الله من قال: أسعد الناس بالحياة من حمل بين جنبيه قلبًا ينبض بالعطاء لأمته، ويحمل بكفيه غراس الخير، يسقيها بهمته، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾ [الأنبياء: 90].

وتأمل – أيها الموفق – في قول الله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾ [يس: 12].

يقول الشيخ عبد المحسن المطيري: نجد أن للأعمال أثرًا بعد الموت صاحبها حسنة كانت أو سيئة، وستكون ظاهرة له يوم القيامة، فاحرص أن يكون لك أثر في دنياك ترى نفعه يوم القيامة.

أيها الموفق: كم سمعت أو قرأت هذا الحديث العظيم، فما هو أثره في قلبك وعملك، حاول واجتهد وسارع، واترك أثرًا حميدًا قبل رحيلك.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**». [رواه مسلم].

أيها الباحث عن التوفيق:

ألا ترى إلى أثر وتأثير وبركة دعوة بعض العلماء والعظماء أمثال:

ابن تيمية، وابن القيم، وابن حنبل، وابن حجر، وغيرهم كثير، ولله الحمد، كيف كانت في زمانهم وبقيت صالحة نافعة مباركة بفضل الله إلى زماننا هذا، مئات السنين يتوارثها جيل بعد جيل، إنه التوفيق من رب العالمين!

ويذكر البسام (رحمه الله) في شرحه لبلوغ المرام قوله: ليعمل كل إنسان بالذي يُحسنه، ويستغل مواهبه التي منحه الله إيَّاها، فيما يصلح نفسه وينفع غيره، وكلٌّ ميسر لما خُلق له، وهذه حكمة اختلاف مواهب الخلق وميولهم واستعداداتهم. ا.هـ.

إخواني: لنتساءل مع أنفسنا بصراحة، طفل في المهد مازال صبيًا ينطق بأن يكون مباركًا أينما كان، فأين أهل الشهادات العليا من أثرهم في مجتمعاتهم، لنكن موفقين مباركين أينما كنا. ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: 31].

الموفق هو الذي إذا أُعطي منصبًا أو جاهًا أو مالًا استعمله في مرضاة ربه ونصرة دينه ونفع إخوانه.

وكــن رجُــلاً إن أتــوا بعــده   يقولــون مــرَّ وهــذا الأثــر

عن أنس مرفوعًا: «**افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات الله، فإن لله نفحاتٍ من رحمته، يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله أن يستر عوراتكم وأن يؤمن روعاتكم**». [السلسلة الصحيحة (1890)].

أيها الموفق:

لا يكون الأثر الحميد والذكر الجميل بالعلم أو المال فقط، وإنما يكون بالرحمة والإحسان إلى الخلق.

يقول أحدهم:

لقيت بمنى شابًّا غير عربي، يحمل شيخًا كبيرًا على ظهره، فأردت أن أشكره على بره، فقلت له: جُزيت خيرًا لبرك بأبيك.

فقال: لكنه ليس أبي ولا من بلدي.

قلت: فمن إذن؟

قال: وجدته بعرفة ليس معه أحد، فحملته على ظهري إلى مزدلفة ومنها إلى منى.

قلت: لم فعلت ذلك؟ قال: سبحان الله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]. فأين أنت من فقراء الحي الذي هم بجوارك، اسأل عنهم، تفقد أحوالهم وحوائجهم، اترك أثرًا حميدًا قبل رحيلك، فما

أحوجنا إلى هذه الأخلاق التي يبقى أثرها في القلوب قبل السطور.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56]. تذكر أيها السائر على طريق التوفيق أنك تعيش في هذه الدنيا مرة واحدة، وقد ترحل عنها في أي وقت فاغتنم عمرك أيها الإنسان. ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: 6]. وكما قيل: ما أحلى أن يجد الإنسان في صحيفته حسنات لم يتعب فيها، وأن يملأ ميزانه بطاعات عملها غيره، وأن يرتقي درجات بعد أن يواريه التراب.

﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى﴾ [طه: 76].

إضاءة على الطريق:

الحياة فرصة كبيرة وثمينة، تحتاج إلى همة عالية وجد واجتهاد وتوفيق من الكريم المنان، فاسألوا الله من فضله.

الخامس والعشرون: يا أهل الزكاة

ومن معالم التوفيق للعبد إخراج زكاته قلت أو كثرت ابتغاء مرضات الله؛ فإنه لا يعلم بك إلا الله الذي يعلم السر وأخفى، فتراه يسأل من يثق بهم عن الفقراء والمساكين، ويحرص كل الحرص على إيصالها لمستحقيها ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: 5].

فلله الحمد، كم فرّجت الزكاة من كربة، وأزالت من هم، وسترت من عِرض، وكفكفت من دموع، وقضت من دين، ولا يوفق لمثل هذا إلا الموفقون.

إنها ثمرات زكواتكم في حياتكم الدنيا، والآخرة خير وأبقى، فترى الموفق ما أن يحل وقت زكاته، إلا وقد هيأ نفسه ورتب حاله واستعد بماله واستعان بإخوانه الصادقين الأمناء، ثم انطلقوا يخرجونها هنا وهناك، يتحرون أهلها، يسألون عنهم، يأتون إليهم في أماكنهم وبيوتهم.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 60].

عن أبي أمامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع قال: «**اتقوا الله ربكم، وصلُّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم**». [السلسلة الصحيحة (867)].

هكذا الجزاء:

جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: 108].

نعم، سُعدوا في الجنة، جزاء ما قدموا وبذلوا وأسعدوا أُناسًا وأسرًا فقيرة محتاجة في حياتهم الدنيا، وبقدر ما تُسعد الآخرين تكون السعادة والطمأنينة والانشراح في قلبك، فكان الجزاء من جنس العمل.

إضاءة على الطريق:

قال ﷺ: «**موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها**». [عن سهل بن سعد ط صحيح الجامع 6635]

* * *

السادس والعشرون: احفظ الله يحفظك

ومن معالم التوفيق حفظ الله لعبده المؤمن، خاصة في هذا الزمن الذي تتلاطم فيه الفتن والمحن والبلايا، فيحفظه في قلبه من الشبهات والخواطر والوساوس التي تبث أمام ناظريه ليلا ونهارا، ويحفظه في جوارحه كلها في بصره وسمعه ولسانه وبطنه وفرجه.

ترى العبد الموفق يحفظ ذلك كله؛ مخافة الله جل في علاه، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: 41].

يراقب ذلك في سفرياته في انتظاره في المطارات أو المستشفيات أو الأسواق والماركات والمنتزهات والشاليهات، فكم سقط من شاب وفتاة في مستنقعات الرذيلة والآثام، كان وراء ذلك نظرة أو ابتسامة أو كلمة إعجاب زينها الشيطان لهما: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: 15].

أين هم عن قول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: 14].

إنها آية بحق تقشعر لها الأبدان لعظمتها وعلو قدرها، إن الله العليم الكبير لا يخفى عليه شيء من أمرنا وأحوالنا وحركاتنا، مهما اختفينا عن الأنظار والأبصار، إنها الرقابة الإلهية الكبرى.

ومن لطائف القول عند قوله تعالى عن يوسف عليه السلام ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾ [يوسف: 25].

يقول الشيخ محمد الحمد حفظه الله: وفي هذا مشروعية الفرار من الفتن مهما بلغ الإنسان من العلم والدين والعقل. ا.هـ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: 21].

خلو واختلاط، ونظرة وإعجاب، وشبهات وشهوات، وسياحة وعروض وسفريات وتخفيضات، احذر احذر أيها الإنسان أن تكون هذه هي أول خطوة من خطوات الشيطان!

أيها الموفق:

احفظ بصرك، احفظ سمعك، احفظ لسانك، احفظ جوارحك، احفظ قلبك في زمن المتغيرات والشهوات والشبهات والفضائيات، ولا يوفق لحفظ ذلك إلا من رُحم.

﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا ﴾ [الإسراء: 36].

يقول مصطفى السباعي (رحمه الله): إذا همت نفسك بالمعصية فذكِّرها بالله، فإذا لم ترجع فذكِّرها بأخلاق الرجال، فإذا لم ترجع فذكرها بالفضيحة إذا علم الناس، فإذا لم ترجع فاعلم أنك تلك الساعة انقلبْتَ إلى حيوان!

وتأمل في كلام الحسن البصري (رحمه الله) وهو يقول: ما نظرت ببصري، ولا نطقت بلساني، ولا بطشت بيدي، ولا نهضت على قدمي، حتى أنظر على طاعة أو على معصية، فإن كانت طاعة تقدمت، وإن كانت معصية تأخرت.

أيها الموفق:

يقول النبي ﷺ: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك**». [رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، انظر بلوغ المرام].

احفظ الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه، يحفظك في حلك وترحالك وأهلك ومالك وعرضك، وقبل ذلك كله في دينك، والجزاء من جنس العمل.

يقول أحمد بن خضرويه: القلوب أوعية، فإذا امتلأت من الحق، أظهرت أنوارها على الجوارح، وإذا امتلأت من الباطل، أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح.

يقول ربنا الرحمن:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر: 19].

فماذا قدمت لغدك أيها الموفق؟

إضاءة على الطريق:

اللهم احفظني بالإسلام قائماً

واحفظني بالإسلام قاعداً

واحفظني بالإسلام نائماً

ولا تشمت بي عدواً ولا حاسداً

السابع والعشرون: رفقاء الطريق

ومن معالم التوفيق والسداد في هذا الزمان خاصة، الذي كثرت فيه المصالح والمعارف، الصحبة الصالحة التي تُعينك على فعل الخيرات والطاعات، وتذكرك عند الزلات والهفوات، يعين بعضكم بعضا على الثبات على طريق الاستقامة والتوفيق، فإذا وفقك الله لمثل هذا فاعلم بإذن أن الله أراد بك خيرًا، ﴿ الْأَخِلَّآءِ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: 67].

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**». [رواه الترمذي وحسنه]

فانظر و تأمل في أصحابك! مع من تجلس؟ ومن تصحب؟ ومع من تسافر؟ ومن هو صديقك الوفي؟

ومن الحكم قالوا: جالسوا من تذكركم بالله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويُرغبكم في الآخرة عمله.

يقول الشاعر:

أنت في الناس تُقاسُ ... بالذي اخترت خليلًا
فاصحب الأخيار تعلُ ... وتنل ذكرًا جميلًا
صحبة الخامل تكسو ... من يؤاخيه خمولًا

واسمع إلى نصيحة الفاروق ﷺ عندما قال: عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء، وعُدَّة في البلاء.

ويوجه لك النصح بكر أبو زيد (رحمه الله) قائلًا: تخير للزمالة والصداقة من يعينك على مطلبك، ويقربك إلى ربك، ويوافقك على شريف غرضك ومقصدك.

وإليك أيها السائرون على درب الأخوة والمحبة والصفاء هذه البشرى: ففي الحديث القدسي: «**قال الله تعالى: المتحابّون في جلالي لهم منابر من نور، يغبطهم النبيون والشهداء**». [عن معاذ، صحيح الجامع 4312 ج1].

إضاءة على الطريق:
الرفيق قبل الطريق
فانظر فيمن ترافق في طريقك.

* * *

الثامن والعشرون: رحلة المشتاق

ومن معالم التوفيق أن يُوفق الله العبد إلى عمرة أو حج بيت الله الحرام، يسير في تلك البقاع الطاهرة، التي نزل فيه الوحي وسار فيها رسول الهدى محمد ﷺ القائل: «**صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه**». [صحيح الجامع 3838 عن جابر].

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: 97].

- هنا مكة المكرمة.
- هنا الكعبة المشرفة، قبلة المسلمين في الدنيا كلها.
- هنا الصفا والمروة.
- هنا المشاعر كلها، عرفات ومزدلفة ومنى.
- هنا ماء زمزم المبارك.
- هنا ولد أبر مولود بأمته محمد ﷺ.
- هنا تسكب العبرات، وتقضى الحاجات، وتجاب الدعوات.

ولنعلم جميعًا:

وأن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، هكذا نطق الرسول الصادق المصدوق.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس جزاء إلى الجنة**». [رواه البخاري ومسلم].

الله أكبر، الله أكبر، ما أعظمه من أجر! وما أجله من بلد! وما أكرمه من مكان!

﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج: 32].

ولا عجب بعد ذلك أن يُوفق الله أُناسًا يأتون ملبين محرمين من أقصى الدنيا طولًا وعرضًا من كل فج عميق إلى بيت الله الحرام؛ إنه توفيق الله لهم، وكفى به شرفًا وفضلًا!

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج: 27].

أما المحروم من الخيرات والبركات فقد قال ﷺ: «**إن الله يقول: إن عبدًا أصححت له جسمه، ووسعت عليه في المعيشة، تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إلي محروم**». [السلسلة الصحيحة 1662].

فتجده يسافر الأسفار البعيدة، وينفق عليها الأموال الطائلة، ويخطط وينظم لها، أما الحج أو العمرة وزيارة المدينة النبوية فهي في عالم النسيان والغفلة في حياته!

الموفق السعيد لا ينسى أيضًا الرحلة إلى المدينة النبوية، والصلاة في مسجد رسول الهدى ﷺ، وأنت تسير بين أروقة المسجد النبوي، تأمل في تلك البقعة الطاهرة، وتذكر قول المصطفى ﷺ: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**». [صحيح الجامع ج2-5586].

فماذا بعد هذا الفضل والتوفيق، فإذا خرجت من المسجد النبوي وأنت تسير في فجاج المدينة، تذكر الصلاة في مسجد قباء، أول مسجد أسس على التقوى.

﴿ لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: 108].

عن سهل بن حنيف ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تطهر في بيته، ثم أتى مسجد قباء، فصلى فيه صلاة، كان له كأجر عمرة**».

[أخرجه النسائي، وابن ماجه].

ولا تنس – أيضًا أيها الموفق – زيارة مقبرة البقيع، ففيها أصحاب النبي ﷺ رضوان الله عليهم والسلام عليهم والدعاء لهم، الصحابة الذين قدموا أنفسهم وأموالهم في سبيل مرضاة الله جل وعلا، تعرف عليهم وعلم أولادك محبتهم والترضي عنهم.

ولا تنس في رحلتك الموفقة صحبة أهلك وأولادك، وإدخال السرور والبهجة على قلوبهم، وكل هذا من توفيق الله لك ولهم.

فهل عرفت أخي من هو الموفق ومن هو المحروم.

إضاءة على الطريق:

لا تفوتك رحلة الحج إلى بيت الله الحرام لهذا العام.

كن صادقا، وجهز نفسك ورتب حالك.

وأبشر بما يسرك.

التاسع والعشرون: الوداع الجميل

ومن معالم التوفيق الخاتمة الطيبة والوداع الجميل من هذه الحياة الدنيا بعد عمر مديد حافلا بالأعمال الصالحة والثناء العطر على ألسنة الخلق، فنحن شهداء الله في أرضه.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [مريم: 96].

ولقد أخبرنا رسولنا الكريم ﷺ بقوله: «**إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله. قيل: كيف يستعمله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه**». [رواه أحمد والترمذي عن أنس، انظر: صحيح الجامع 305].

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات على شيء، بعثه الله عليه**». [السلسلة الصحيحة 283].

● بكى سفيان الثوري (رحمه الله) ليلة حتى الصباح، فقيل له: يا إمام، كل ذلك من الذنوب. فأخذ تبنة من الأرض وقال: إن الذنوب أهون عندي من هذه، وإنما أخاف الخاتمة السيئة.

﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون ﴾ [الجاثية: 33].

● كم من أناس كانت خاتمتهم في أطهر البقاع في الحرم المكي أو المدني!

● كم من أُناس صادقين ماتوا بعد أو أثناء قراءتهم للقرآن، بل بعضهم مات وهو محرم متلبس بحج أو عمرة! ومن مات على شيء بُعث عليه كما أخبرنا بذلك الصادق المصدوق.

عن ابن عباس ﷺ أن رجلا كان مع النبي ﷺ فوقصته ناقته وهو محرم فمات، فقال رسول الله ﷺ: «**اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبيه، ولا تمسوه بطيب، ولا تخمروا رأسه؛ فإنه يُبعث يوم القيامة مُلبيًا**». [رواه البخاري، ومسلم، والنسائي].

أيها الموفق:

كان عمر الفاروق ﷺ يدعو ربه بهذا الدعاء: «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ». أمنية يتمناها ويرجوها، وقد استجاب الله لعمر ﷺ، فاستشهد في محراب رسول الله ﷺ، وهو يؤم المسلمين في صلاة الفجر.

الله أكبر! أي توفيق هذا؟! وأي وداع جميل وخاتمة طيبة بعد عطاء عظيم للإسلام والمسلمين؟!

إنه توفيق رب العالمين.

يقول الشيخ صالح بن حميد حفظه الله: إن من يصل الرحم، ويحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق، لا يخزيه الله أبداً، ومن كثرت حسناته حسنت بإذن الله عاقبته، وسلمه ربه في دنياه وآخرته، وحفظه في دينه وأهله. ا.هـ.

وكل هذا بتوفيق الواحد الأحد، فلا يراك ربك إلا محسنًا، فإن رحمته قريبة من المحسنين.

﴿ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: 56].

تأمل هذه الخاتمة الموفقة:

كان ثابت بن عبد الله بن الزبير (رحمه الله) يدعو دائمًا بقوله:

اللهم أمتني ميتة حسنة.

قالوا: كيف الميتة الحسنة؟

قال: أن يتوفاني ربي وأنا ساجد.

فأذن المؤذن لصلاة المغرب وهو مريض، قال: اذهبوا بي إلى المسجد، فحملوه، فلما صلى وأصبح في السجدة الأخيرة، ووجهه معفر في التراب ساجدًا، يقول: سبحان ربي الأعلى.

قبض الله روحه، فقلَّبوه فوجدوه قد مات.

هنيئًا بهذا التوفيق وحسن الختام.

إنها الصلاة.. إنها الصلة.. إنها جنة الدنيا.. إنها طريقة الموفقين.

فلقد قال الرسول ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**». [رواه مسلم].

كل ذلك بتوفيق الله لهم، يوفق من يشاء برحمته، ويحرم من يشاء بعدله.

إضاءة على الطريق:

اللهم اختم بالصالحات

أعمالنا وأعمارنا

يا ذا الجلال والإكرام.

* * *

الثلاثون: وظيفة العمر

ومن معالم التوفيق الكبرى أن يوفق العبد لتوبة وأوبة صادقة في حياته الدنيا، يسير على طاعة الله، يتتبع مرضاة ربه، يندم على ما فات ويستدرك ما بقي من العمر؛ إنها التوبة.

التوبة وظيفة العمر.

التوبة نور يتلألأ في سماء وحياة المؤمن.

التوبة من أجل الطاعات وأعظمها.

التوبة تصحيح للمسارات الخاطئة التي يسير فيها البعض.

التوبة حياة مشرقة مليئة بالأعمال الصالحة.

التوبة توفيق من الله يمن بها على ما يشاء من عباده.

إنها التوبة فرح الرب العظيم بعودتك وتوبتك؛ لأن ربنا هو التواب الرحيم، فأين التائبون الموفقون؟!

تأمل هذا النداء الرباني الذي يفيض بالرحمة:

﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: 53].

بل ويزداد الغفور الرحيم كرمًا وثوابًا للتائبين الموفقين إذ يقول: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: 70].قال ابن تيمية (رحمه الله): الاستغفار من أكبر الحسنات وبابه واسع، فمن أحس بتقصير في قوله أو عمله أو حاله أو رزقه أو تقلب قلبه؛ فعليه بالتوحيد والاستغفار إذا كان بصدق وإخلاص.

ويقول الحسن البصري (رحمه الله): أكثروا من الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم وفي طرقاتكم وفي أسواقكم وفي مجالسكم؛ فإنكم لا تدرون متى تنزل المغفرة.

بل تأمل إلى هذه الكلمة المؤثرة في القلوب الصادقة.

يقول الحسن البصري (رحمه الله): **التوبة النصوح:** أن تبغض الذنب كما أحببته، وأن تستغفر الله كلما ذكرته. ا.هـ.

الموفق من إذا أُعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر.

فهذه هي عناوين السعادة كما قال محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله).

سُئل أحد أهل العلم:

ماذا تنصحني لاستقبال مواسم الطاعات؟

فقال: خير ما تستقبل به مواسم الطاعات كثرة الاستغفار؛ لأن ذنوب العبد تحرمه التوفيق.

فمن هذه اللحظة ابدأ صفحة التوبة والندم والإقبال على الله العزيز الغفار.

أيها الموفق: تُب إلى الله، عُد إلى ربك، فما أجمل التوبة وما أعذبها إذا كانت بصدق وإخلاص وإخبات ومسارعة إلى الخيرات! فلنمسي تائبين ولنصبح تائبين، وفقني الله وإياكم للتوبة النصوح. ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [التحريم: 8].

إضاءة على الطريق:

في هذه الساعة المباركة

صحح طريق حياتك، وعُد إلى ربك

فأنت أعلم بحالك

وفقك الله للتوبة النصوح.

فقد كسر عُجب نفسه!

أيها الموفق:

إياك أن تغتر بما وفقك الله إليه، فيدخل إلى قلبك العُجب بنفسك وعلمك وعملك ومالك وحجك وصلاتك ودعوتك وإنفاقك وبصالح قولك وعملك، فتصغر في عينيك ذنوبك أو تحتقر غيرك.

﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم: 32].

الحذر أشد الحذر من هذا الداء الخفي الذي لا ينتبه له إلا أُولو الألباب، خاصة ونحن في زمن تفتحت فيه كاميرات الأضواء وعدسات الأهواء!

أخي السائر على درب التوفيق:

ما بك من نعمة أو توفيق فمن الله وحده، فأسال المنعم والموفق على ما أعطاك وحباك واجتباك فهو القائل:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر: 3].

يقول الفقيه السمرقندي (رحمه الله): من أراد أن يكسر العجب، فعليه بأربعة أشياء:

1- أن يرى التوفيق من الله تعالى، فإذا رأى التوفيق من الله، فإنه يشتغل بالشكر، ولا يعجب بنفسه.

2- أن ينظر الموفق إلى النعماء التي أنعم الله بها عليه، فإذا نظر في نعمائه اشتغل بالشكر عليها، واستقل عمله، ولا يعجب به.

3- أن يخاف أن لا يُتقبل منه، فإذا اشتغل بخوف القبول لا يعجب بنفسه.

4- أن ينظر في ذنوبه التي أذنب قبل ذلك، فإذا خاف أن ترجح سيئاته على حسناته فقد كسر عجبه. ا.هـ.

أن تقرأ أيها الموفق في كتاب ربك الكريم: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ** ﴾ [المؤمنون: 61].

عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: يا رسول الله ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** ﴾ [المؤمنون: 60].

هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله ﷻ؟

قال: «**لا يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله ﷻ**». [رواه الترمذي].

إن قلب المؤمن يستشعر يد الله عليه، ويحس آلاءه في كل نفس وكل نبضة، ومن ثم يشعر بالهيبة، ويشعر بالوجل، ويشفق أن يلقى الله وهو مقصر في حقه، لم يوفه حقه عبادة وطاعة، ولم يقارب آياديه عليه معرفة وشكراً، كما قال صاحب كتاب في ظلال القرآن (رحمه الله) تعالى.

كما إنني احذر نفسي وأحبتي من إغلاق باب التوفيق والرشاد عنا من حيث لا نشعر، وما يفقه ذاك إلا من أراد الله به توفيقاً، هذا ما أشار إليه شقيق بن إبراهيم (رحمه الله) بقوله:

أغلق باب التوفيق عن الخلق من ستة أشياء:

- اشتغالهم بالنعمة عن شكرها.
- رغبتهم في العلم، وتركهم العمل.
- المسارعة إلى الذنب، وتأخير التوبة.
- الاغترار بصحبة الصالحين، وترك الاقتداء بفعالهم.
- إدبار الدنيا عنهم وهم يتبعونها.
- إقبال الآخرة عليهم وهم معرضون عنها. ا.هـ.

أيها الموفق:

أعد قراءة هذه الأمور الستة، وقف عندها وتأملها بقلب واعٍ، واعرضها على نفسك، وتأمل في حالك ومآلك، وأجب عليها بصدق وصراحة، تجد أننا واقعون فيها إلا من رحم ربك.

قال ﷺ: «**ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**». [رواه الطبراني في الأوسط (5452)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (3049)].

إن الذي يعجب بنفسه وعمله، وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والسداد نقول له:

أيها المسكين:

من الذي وفقك؟ من الذي أعانك؟ من الذي أعطاك؟

من الذي علمك؟ من الذي فهمك؟ من الذي أنطقك؟

إنك لم تبلغ ما بلغت إلا بتوفيقه لك، فاحمد الله، وكن من الشاكرين ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: 66].

بل تعلم أيها الموفق هذا الدرس من سفيان الثوري (رحمه الله) حين قال: كل شيء أظهرته من عملي فلا أعده شيئًا؛ لعجز أمثالنا عن الإخلاص إذا رآه الناس.

ويؤكد ذلك لك أحمد بن قدامه (رحمه الله) عندما قال: اعلم أن الله سبحانه هو المنعم عليك بإيجادك، وإيجاد أعمالك، فلا معنى لعجب عامل بعمله، ولا عالم بعلمه؛ إذ كل ذلك من فضل الله تعالى، وإنما الآدمي محل لفيض النعم عليه. ا.هـ.

﴿ **يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ** ﴾ [الانفطار: 7].

يقول مطرف بن عبد الله الشخير (رحمه الله): لأن أبيت نائما وأصبح نادماً أحب إليَّ من أن أبيت قائماً وأصبح مُعجبًا.

وتأمل في هذا الكلام القيم من مدرسة الإمام ابن القيم حيث يقول: اعلم أن العبد إذا شرع في قول أو عمل يبتغي مرضاة الله، مطالعًا فيه منّة الله عليه به، وتوفيقه له فيه، وأنه بالله لا بنفسه ولا بمعرفته، وفكره وحوله وقوته، بل هو الذي أنشأ له اللسان والقلب والعين والأذن، فالذي من عليه بذلك هو الذي منَّ عليه بالقول والفعل، فإذا لم يغب ذلك عن ملاحظته، ونظر قلبه، لم يحضره العجب الذي أصله رؤية نفسه، وغيبته عن شهود منّة ربه وتوفيقه وإعانته، فإذا غاب عن تلك الملاحظة، وثبّت النفس، وقامت في مقام الدعوى فوقع العجب، فسد عليه القول والعمل... كما في الفوائد.

قال رجل لتميم الداري: ما صلاتك بالليل؟

فغضب غضبًا شديدًا، ثم قال: والله لركعة أُصليها في جوف الليل في سرٍّ أحب إليَّ من أن أصلي الليل كله، ثم أقصه على الناس.

إنه فقه السلف الصالح وكفى، فهيا شمّر عن ساعد الجد والاجتهاد والصبر والمثابرة والمجاهدة والبذل والعطاء في سلوك طريق أهل التوفيق والرشاد، فمتى علم الله صدق نياتنا وسرائرنا، وفقنا الله إلى ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 24].

* * *

نهاية الطريق

ولنعلم أيها الموفقون السائرون على درب الاستقامة والتوفيق.

أن معالم توفيق الله جل وعلا لعبده لا يحدها حد ولا يحصيها عادٌّ، وأن جزاء من سار في طريق التوفيق الجنة.

﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف: 72].

ويقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: 122].

إنه الوعد الحق من الإله الحق جل في علاه لما وفقكم الله إليه من إيمان صادق وعمل صالح في حياتكم الدنيا أيها الموفقون.

﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ ﴾ [إبراهيم: 23].

فكل كلمة طيبة، وعمل صالح، ونية خالصة لله صغرت أم كبرت مادام أنها في مرضاة الله ومحبة الله فهو من توفيق الله لعبده. وما أشرنا إليه في هذه الرسالة ما هو إلا علامات ومعالم على طريق التوفيق

والسداد، وعلى العبد أن يتأمل ذلك في أحواله آناء الليل وأطراف النهار، ويسأله الثبات عليه حتى الممات.

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99].

أخي على طريق التوفيق:

هذا ما انتهى إليه القلم بتوفيق ربنا الحكيم العليم، ثلاثون معلمًا من معالم التوفيق في حياتنا الدنيا، أسأل الكريم المنان أن يوفقنا لحسن القول، وحسن العمل، وحسن الحال، وحسن المآل، وحسن الختام، كما أسأله جل في علاه أن يجعل لك بكل خطوة في حياتك الدنيا توفيقًا وصلاحًا وسدادًا وطاعة لربك المنعم ذي الجلال والإكرام.

وإلى اللقاء

مع رسالة قادمة بإذن الله تعالى

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محبكم على الطريق

أبو عمر

الفهرس